فوضى التكفير

عبد الرحمن أحمد شادي

الطبعة الأولى

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تصميم الغلاف : عصمت داوستاشى
إخراج فنى : السيد المغربى

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الإهـــداء

من أحق الناس بحسن الصحبة واهداء الكتاب ؟

الجواب هو أمي حية وميتة

فقد ولدت [رحمها الله] سنة ١٩٠٥ م فى قرية عتيقة من قرى مصر : سنجرج مركز منوف :

والأدلة على قدمها ذكرها فى الكتب التالية وقد أصبح ذكر الأدلة على أى قضية عادة لافكاك منها ولامهرب . وهى عادة خير لاشر تفتح الطريق أمام محبى البحث وهواة العلم .

(١) اقدم كتاب طبع ونشر - فيما أعلم - تم فيه احصاء القرى المصرية وذكر اسمائها تفصيلا واحدة بعد واحدة هو قوانين الدواوين تأليف الوزير أسعد بن مماتى سنة ٥٨٩ هـ فى عهد صلاح الدين الأيوبى .

والغرض من ذلك مسح أراضيها وتحديد أحواضها توطئة لغرض الضرائب عليها والعدالة فى توزيعها على أصحابها من كبار الملاك أو صغار الفلاحين .

وللوزير ايضا كتابه المشهور الفاشوشى فى حكم قراقوش .

(٢) ياقوت فى المشترك وهو ملحق منفصل عن كتابه الضخم معجم البلدان .. خصصه للبلاد التى تتفق فى الاسم وتختلف فى المكان لأن لها سمية بالصعيد تابعة لمركز ملوى . وهو من الكتب النادرة المحفوظة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة ولم يخل معجم البلدان مما اتفق اسمه واختلف مكانه لدرجة أن بعض الاسماء دل الواحد منها على عشرة مواقع او اماكن .

مثل الرمادة ٤/٢٨٢ ، الريان ٤/٣٤٦ ، الجب ٣/ ٤٦ وهناك اقل مثل الرقة والرملة .

(٣) تحفة الارشاد سجل فك الزمام فى زمن الملك المنصور لاجين سنة ٦٩٧ هـ .

(٤) التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية لابن الجيعان ٧٧٧ هـ ط ١٣١٦ هـ ١٨٩٨ م ص ١٠٦

(٥) الخطط التوفيقية لعلى مبارك عشرون جزءا ط ١٣٠٥ هـ ١٨٨٨ م جـ ١٢ ص ٥٧ .

(٦) القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد الفراعنة إلى سنة ١٩٤٥ م تأليف محمد رمزى قسم ثاني جـ ٢ ص ٢١٨ ط ١٩٥٨ م .

وليس هناك صلة بين اسمها وبين القديس جورج او جرجس المعروف عند النصارى كما تبادر إلى بعض الاذهان وإنما هى من القرى التى بدئت بالسين والنون ومعناها بنو وهى كثيرة مثل سنبخت ، سنتماى ، سنجلف ، سنجيد ، سندوب ، سنهور .

وقد أهمتنى هذه النسبة وغمتنى وكانت علة على قلبى – والحق يقال – حتى أزاحها عنى علمى بما ذكره محمد رمزى صاحب المرجع الأخير رحمه الله و جزاه خيرا . وقد امتاز كتابه بتحقيقات فى الاسماء .

وهى كتب مطبوعة معروفة لأهل العلم بتاريخ الخطط المصرية وهذا بحث خاص من أوائل مؤلفات المؤرخ المعاصر : محمد عبدالله عنان : والمعرفة بحر زاخر لا أول له ولا آخر يتعاون الأوائل والأواخر

من العلماء فى تقديمها للقراء طلاب العلم خالصة من الشوائب والأملاح المهم فى الموضوع – بعد هذا الاستطراد المفيد – أن أمى رحمها الله عاشت فى هذه القرية إلى أن تزوجت الوالد وهو ابن خالتها سنة ١٣٤١ هـ ١٩٢٢ فهاجر بها فى سبيل العيش الكريم والرزق المقسوم هجرة داخلية إلى ... الاسكندرية واستفتحت الأسرة بابنها الأول الذى مات فى عمر الزهور فلم تفرح به ولم يفرح بها وكان نصيبها من حرارة الثكل ومصيبة الموت ومرارة الألم ... عظيما .

ماتت أمها فى الخامسة من عمرها ثم أختها الشقيقة ثم ابنها الأول .

ثم أنجبتنى فسقط رأسى على ثرى القرية ١٣٤٧ هـ ١٩٢٩ م ولم تتم فرحتها فقد أتاها القضاء المحتوم والأجل السريع بفتة فى عز الشباب بعد مرض قصير فماتت حزينة فى الخامسة والعشرين من عمرها بعد أن اكتملت فصول المأساة .

ذهب أحبابها واحدا بعد الآخر وأحست وهى فى الاحتضار ان نفسها تذهب حسرات على ابنها يتيم

الأم الذى تتركه فى العام الأول من عمره وصعدت روحها إلى عليين ودفن جسدها فى مقبرة القرية ، وآواه الله إلى كنفه وإن كان لم يطب له عيش بعد وفاة امه وانهدام الركن الأكبر فى سعادته وآن له الأوان بعد أن شب عن الطوق وكبر وشاخ وعرف مذاق الأحزان والهموم التى تطفح على قلبه أن يشكو بثه وحزنه إلى الله علانية بعد أن كان يفعل ذلك خاليا فتفيض عيناه ويعلى قدرها ويرفع ذكرها ويهدى كتابه إليها .

– فهيمة خليفة سيف الدين –

الروح الخالدة فى العالم الثانى . وبعد . فهذه لوعة شاك وحسرة باك ونفثة مصدور وجمرة موقدة من الحزن طول عمره فى صدره على فراق الأم تتضمن نبذة يعرفها القارىء عن تاريخ الكاتب الذى يشق طريقه فى الأدب بين الاشواك والصخور . ولله الأمر من قبل ومن بعد .

المقدمــة

هذه أمثلة من أسئلة ألقيت على فى بعض مجالس العلم والسمر والتعزية والشورى والتعاون على الخير . وغير ذلك من أغراض المجالس .

فأجبت عنها في التو والساعة إجابة شفوية فليس عند السائل صبر حتى أنقب فى المراجع كانت والحق يقال ساذجة على صفة السؤال ولكن هذه السذاجة لم تمنعها من القيام بعمل أحجار الاساس فى الكتاب .

ولم ينته الأمر بالنسبة لى كما انتهى لكثير غيرها من الأسئلة ضاعت فى بوادى النسيان . لم أدركها لأنى لم اسارع إلى كتابتها . فضلت ضلالا بعيدا وقديما قبل : العلم صيد والكتابة قيد .

حاولت أن أستعيدها من الذاكرة فلم أعرف ؛ هذه الأسئلة والإجابة عليها لاتشغل سائلا فردا ولاتمثل حالة خاصة وإنما كان السائل معبرا عما يشغل الجم الغفير

والعدد الكثير من الناس مما يمكن ان يسمى قضايا عامة .

أهمتنى وأنا فى الشارع فى طريق العودة ثم فى البيت حين أصبحت وأضحيت وامسيت طوال أيام متوالية فزاد التأمل والتفكير والمراجعة والتماس الأدلة فى مظانها .

وإن لم يتيسر ذلك الا بالمكث الطويل أو القصير فى دور الكتب وبيوت وقصور الثقافة تعويضا عن القصور والعجز فى مكتبتى .

وسبحان من وضع فى كل قلب مايشغله .

وأضفى ذلك عليها جانبا من البهاء والرواء استحقت به أن تصير مادة كتاب يضم عشر مقالات تشبه البحوث عدا الاهداء والمقدمة اخترت له اسم فوضى التكفير .

وهو عنوان مقالة من محتويات الكتاب مما لايخالف الحقيقة فى قليل ولاكثير .

وبهذا التعبير والتحرير عاش التفكير فاللغة جسد والفكر روح .

وهل يعيش روح فى عالمنا بغير جسد .

وانتقل إلى المعاصرين الذين لم يحضروا هذه

المجالس . وأملى [عند الله] أن ينقله إلى الأجيال المقبلة . وأن يجعله من العلم النافع . للجميع الحسنى وزيادة : النصيحة والفائدة وقد جاء فى الأمثال : حسن فى كل عين من تود ، كل فتاة بأبيها معجبة ، القرد فى عين أمه غزال فعسى أن يكون الغزال فى عين المؤلف زائدا فى الجمال أمام عيون القراء .

وسأضرب صفحا عن أحوال السائلين العجيبة وأكر على المسئولين بالمرة مكتفيا بالإشارة إلى شىء من ذلك فى عذاب القبر والكشف عن الحديث والسنة الخلق وأقلام الحق كلما جاءت المناسبة دون تكلف والحديث ذو شجون وإن كان الرأى الذى أبديته وشرحته شرحا وافيا فى هذه المجالس صوابا فهو توفيق من الله وإن كان خطأ فهو منى .

(ماأصابك من حسنة فمن الله وماأصابك من سيئة فمن نفسك) [١] سورة النساء آية ٧٩

(ان أريد الا الاصلاح ماستطعت وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) [٢] سورة هود آية ٨٨

---

(١) سورة النساء آية ٧٩

(٢) سورة هود آية ٨٨

وكما قال الشاعر

إذا لم يكن عون من الله للفتى

فأول مايجنى عليه اجتهاده

وأنا على الحالين الصواب والخطأ ... متاب لأن فضل الله على خلقه عظيم .

والعون المطلوب من المعين مستمر فى جميع الميادين طول العمر .

فلكل فترة – او طور – حاجات ومطالب ومشاكل وحاجة من عاش لاتنتفى .

وعلى الله قصد السبيل .

أهل الفكر .... مظاليم

أثيرت قضية ارتفاع اسعار الكتب فى مجلس علم وكان الضحية فيها بعض الكتاب المشاهير الاعلام وأنا لاأعرفهم الا معرفة القارىء للكاتب الذى لايراه الا اسما وفكرا يطل بين السطور .

والمشاهد للمحاضر فى التليفزيون الذى لايراه إلا صورة متحركة على الشاشة الصغيرة وأصر الحاضرون فى الجلسة على أن المؤلفين هم السبب فى ارتفاع أسعار الكتب بحيث أصبحت ملكيتها فوق مستوى عامة القراء رغبة فى الكسب المادى فقط والاثراء على حساب الجماهير الكادحة وفيها من يقتطع جزءا من قوت جسده فيجوع يوما ويشبع يوما او يترك بطنه خالية فى وجبة ويملؤها فى وجبة أخرى ليكون الكتاب زاد روحه .

وهذا الاثراء الموصوف يضر أعظم الضرر بثقافة الشعوب التى يفديها الجميع بكل غال ورخيص .

لابد أن يعرف هؤلاء الذين يهرفون بمالا يعرفون أن التضخم النقدى أفقد العملة الورقية قيمتها وأبقى للسلع [حتى لو كانت ترابا] مكانتها فأصبح الورق والحبر وأجور العمال الصفافين والطباعين والدباسين والصماغين ووقود الآلات المتحركة فى أداء هذه الاعمال بتكلف أضعاف ماكان يحدث فى سالف العصر والأوان .

وفى صدرى كلمة حق أوجهها لهؤلاء الذين يلقون التهم جزافا بغير حساب ولاتثبت ولابحث ولا استدلال فاذكرهم بالمثل المشهور : كم فى السجن من المظاليم : هناك فرق فى عملية الطبع والنشر بين أهل الفكر وبين تجار الورق الكبار والصغار .. الجملة والتجزئة المستوردين والمحليين ... والناشرين وأصحاب المطابع وسادة أسواق التوزيع .

ولابد أن يمر كل صاحب فكر من عنق هذه الزجاجة هؤلاء الذين ينفقون على الكتاب [إن رضوا بالأنفاق عليه] حتى يصل إلى أيدى القراء وعامة المستهلكين تأخذ دور التوزيع باعتبارها تاجر جملة ٤٠٪ ينال الموزع تاجر التجزئة نصفها فكم يأخذ الناشر وصاحب المطبعة ؟ هل يرضى واحد منهم بتعليق أجره ومكسبه على التوزيع . وهو شىء مجهول النتيجة .... عند الامتحان يكرم المرء أو يهان وإذا استخدم

هذا التعبير ظهرت كرامة الكتاب او إهانته عند التوزيع وماذا يبقى للمؤلف فى النهاية – والقوانين تحفظ له ولورثته حقه عدة سنين ثم يصبح ماألفه من التراث الذى ليس له صاحب .

وكم رتع ولعب الناشرون فى كتب التراث فطبعوا الكثير منها دون أن يكون لأصحابها شيء بالمرة . .

وليجب اهل الاتهام عن السؤال الذى أثاروه أين المؤلف الذى اتخذوه كبش فداء فى هذه القضية ، ومانسبة المؤلفين أصحاب الحقوق إلى هؤلاء الذين ماتوا وذهبت حقوقهم ادراج الرياح ويلزم التنويه أيضا بوجود الفرق بين قمة الهرم فى اهل الفكر المشاهير الاعلام الذين يحصلون على حق المؤلف بالتمام والكمال دون تحايل عليه ولاطمع فيه ولانقصان منه لأن لهم عودة إلى الطبع والنشر عند الطبعات التالية فى الكتاب الواحد وفى الكتب الأخرى التى تؤلف من جديد فالجيآت أكثر من الروحات .

منهم من يأخذ حق الكتاب او الطبعة مبلغا من المال ثم يخرج من باب الجمال . ومنهم من يأخذ نصيبا معلوما عن كل نسخة ، وبين القاعدة العريضة من المؤلفين وهى لاتنال حتى الفتات وتتحمل المفارم فى طبع كتبها فرأس المال الذى يملكه أفراد من كبار الاغنياء فى الدول الرأسمالية وتملكه

الحكومات فى الدول الاشتراكية بعد استيلائها عليه بالتأميم ... وسادتها افراد من الرؤساء والمديرين والمشرفين على مؤسسات الطبع ودور النشر هو الذى يتخذ فكر المفكرين واختراع المخترعين بقرة حلوبا يفرض عليها أن تعطى أكبر قسط من اللبن لسادتها وأصحابها دون أولادها .

بل انهم يفرضون [احيانا] الحرمان التام على اولاد البقرة من لبنها .

وأتمنى ان يراجع اصحاب التهمة أنفسهم عند قراءة هذا الدفاع من محام عن اهل الفكر خاض غمرات التجربة وشقى بمرارتها .

وليجرب من شاء من القراء الاقتراب من حرفة الأدب فيكتب بحثا أو يؤلف رسالة وسيضطر إلى شراء كتب يستخدمها كمراجع ويتعذر عليه بعضها فى البلد الذى يعيش فيه . ولايجده إلا فى بلد يسافر إليه ويقيم فيه بضعة أيام أو أسابيع لاستعارتها استعارة داخلية إلى أن يتم موضوعه . فهل سيجد عائدا من المال يساوى ماصرفه على شراء المراجع والسفر للاستعارة الداخلية ولابد فى السفر من الطعام والشراب والمنام والمواصلات بين الأقاليم وداخل المدينة

ومأأنفقه على الاسرة فى هذه الفترة التى تعطل فيها عن العمل وتفرغ للبحث ويقوم بالتجربة مرارا وتكرارا .

فإذا عرض صفو تجاربه فى أبحاث شتى استغرقت جهودا مضنية وأخذت تضحيات جسيمة على صحيفة فسبحان من ينقذ فيض القريحة وسهر الأيام والليالى وكد العالم والاديب فى بناء كتابه جملة بعد جملة وسطر فوق سطر وموضوعا فوق موضوع وفصلا وراء فصل .. .

من قبر المواهب الذى يطلقون عليه سلة المهملات وعلل الرفض كثيرة سيف الرقابة على رقاب المؤلفين والصحفيين ، ضيق المساحة في صحف الخبر .. الطول المسرف ، الحاجة الى التقديم والتأخير فى الموضوعات ايثار الكاتب المشهور طمعا فى رواج المجلة عند القراء ، الأهمية وعدمها .

اما السلامة من الأخطاء النحوية والاملائية واللغوية فإن عمل المصححين ثم المراجعين فى الصحف يجير هذا النقص ويمحو الاخطاء فى شيء يقع فيه حتى كبار الكتاب ولايسلم منه الا القليل من هؤلاء والحمد لله على سلامة كتابى من الأخطاء .

والبحر يكذب الغطاس

وسيجد القارىء الذى خاض غمرات التجربة وشقى بمرارتها أن حرفة الأدب ينطبق عليها قول الزهاوى :

الأجل أن يلقى السعادة واحد يشقى ألوف

وأسأل الله لمن يريد أن يجرب حظ الواحد السعيد لاحظ ألوف الأشقياء .

ولاأخفى على أحد أنى من الفريق الأخير ولابد للمصدور ان ينفث .

الاعمال الشاقة فى الصيام

يكثر السؤال فى رمضان كل عام عن إباحة الفطر لمن يضطرون لأداء اعمال شاقة يعيشون منها فهى مشكلة تظهر كل سنة .

وقد راجعت تفاسير القرطبى والزمخشرى وابن كثير والنسفى والخازن عند الكلام على قوله تعالى :

﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾[1]

فوجدت هؤلاء المفسرين ذكروا الشيوخ الكبار الذين أعجزهم الهرم بصفة دائمة عن الصيام ، وإن صاموا مجازفة تعرضت صحتهم للضرر وحياتهم للخطر .

أما تفسير[2] المنار فقد قاس اصحاب الأعمال الشاقة على الشيوخ الكبار ومثل لهم بعمال المناجم والمحاجر والمحكوم

(١) سورة البقرة آية ١٨٤

(٢) جـ ٢ ص ١٢٦ ط ١٩٧٢ م

عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة او المؤقتة إذا كان الصيام يشق عليهم بالفعل لا بالفرض وكانوا يملكون الفدية ، ومثل هذا القياس موجود فى فقه السنة ٣/ ٢٢٠

ويسر الدين من القواعد المقررة المذكورة فى كثير من الآيات المحفوظة المعروفة والاحاديث المشهورة المذكورة على كل لسان ولو شئت لحشرت منها العشرات ولكنى سأكتفى بالآيات التاليات .

﴿ يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر ﴾[1]

﴿ ماجعل عليكم فى الدين من حرج ﴾[2]

﴿ لايكلف الله نفسا الا وسعها ﴾[3]

والاحاديث (**هلك المتنطعون**)[4]

(**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الاغلبه فسددوا وقاربوا وابشروا**)[5]

ومن ذلك آيات الضرورة وأحاديث الرخص وليس اليسر من الاحكام الاجتهادية الا أنه يطغى على بعض العقول التى

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٥

(٢) سورة الحج آية ٧٨

(٣) سورة البقرة ٢٨٦

(٤) رياض الصالحين للنووى حديث ١٤٤

(٥) رياض الصالحين للنووى حديث ١٤٥

لاتجد له حدا ولا ضابطا يقف عنده فتهدم أركان الدين اعتمادا على اليسر وتعللا بالرخص وجعل حالات الضرورة والضعف البشرى امام الظروف القاهرة هى القاعدة مع ان مكانها فى المؤخرة عند رتبة الشذوذ الموقوت .

تتعلل هذه العقول للنكوص عن أداء الواجب بأدنى علة وأيسر عذر دون أن تعقد مقارنة او حتى تسوية بين واجب الخالق وواجب المخلوق ، يتفانى الشخص فى مجاملة ابنه او زوجته او رئيسه او ضيفه أو صديقه أو عميله او زميله .

اما فى واجب الخالق فإنه يتوكأ على اى عذر ويستند إلى اى رخصة ويفرح بأى قول ضعيف ويردد المثل المعروف : بركة ياجامع . جاءت منك ولم تجىء منى . فرح بترك الصلاة حين وجد المسجد مغلقا مع ان هناك مساجد أخرى متجاورة فى الأحياء الشعبية او البلدية .. وهناك الأرض التى جعلت للمسلم مسجدا وطهورا فإذا ادركته الصلاة فى اى مكان تطهر وصلى . . .

وبعض العقول تخلط بين الشاق وغيره فالطالب الذى يذاكر فى رمضان يظن ان المذاكرة من الاعمال الشاقة حتى ضاق صدرى واضطررت لبيان بعض الفروق امام هؤلاء الطلاب الذين زعموا هذا الزعم وشجعهم بعض الأهل

فالطالب فى مذاكرته حر يستطيع الامتناع عنها فى أوقات ضعفه وخموله والاقبال عليها فى وقت النشاط المناسب للصيام ، وقد جرت عادة الكثيرين على المذاكرة ليلا وفى أول النهار ثم الخمول والنوم بعد ذلك فى عز الصوم . .

ولايجبره أحد على التعرض لحرارة الشمس فيذاكر فى ظل الجدران وقد يستعين بمروحة يحرك بها الهواء داخل الغرف او يخرج إلى الهواء الطلق والنسيم العليل فى الحدائق وتحت ظلال الزيزفون .

ويذاكر على أى حال جالسا أو واقفا او ماشيا او مضطجعا رافعا لصوته أو خافضا له او متخذا بين ذلك سبيلا وأذكر رأيي للتوفيق بين ظروف العمل الشاق والمحافظة على الصيام فلابد من التفصيل بدلا من الإجمال الذى يفتح الباب على مصراعيه ، وقد رأينا المحاولة الأولى لدخول الطلاب من هذا الباب .

هناك اعمال حرة أجر العامل فيها على اساس وحدة العمل او القطعة دون نظر إلى الزمن فمن السهل على العامل خفض مقدار العمل ليناسب طاقته وهو صائم دون أن يستطيع أحد توجيه اللوم إليه .

وبعض هذه الأعمال الحرة يستطيع العامل اداءها فى أول النهار قبل شدة الحر ، أو تأجيلها إلى الليل بعد الافطار دون ان يكون مجبورا على العمل الشاق فى الظروف السيئة فعليه الصوم مادام بالخيار فى تغيير ظروف العمل .

وهناك اعمال حرة شاقة يستطيع تبديلها بغيرها أيسر عليه فى الصيام .

وهناك أعمال شاقة يلجأ إليها العامل تطلعا لما يشتريه غيره من السلع الاستهلاكية التى ساق الناس فيها وزعموا أنها من ضروريات التحضر ولوازم التمدن .

فمن الممكن الاستغناء عن هذه الاعمال فى رمضان ... وهناك اعمال يستطيع المجتمع ان يستغنى عنها شهرا فى العام ولايتضرر إذا أخذ المصتع كله اجازته السنوية فى رمضان والاكتفاء بثلثى الانتاج والعمل فى ورديتين او نوبتين بدلا من ثلاث وتحذف الثالثة فى عز الصوم .

ومن السهل توقيت عطلة المصنع السنوية فى رمضان ولكن العقائر والاقلام التى لايهمها أمر الدين ولاموضوع الصيام سترتفع بالصياح .

اداء الفرائض عقبة فى سبيل الانتاج . شنشنة نعرفها من أخزم .

وهم لايتكلمون بالمرة عندما يحدث ذلك فى عز الصيف بسبب الذهاب إلى المصايف وترك مواقع العمل مارأيت أحدا من هؤلاء قال إن المصايف تعطل الانتاج كما يقولون عن الصيام والصلاة والحج بل تراهم يعملون بكل وسيلة ويطرقون كل حيلة لتكون عطلة المصنع السنوية مناسبة لموسم التصييف .. أليس الحرص على اداء الفريضة مساويا للنزهة والفسحة وجرى العراة من بنى آدم خلف العاريات الكاسيات من بنات حواء على الشواطىء ثم ولوج هذه الأجساد الحارة فى مياه البحر المنعشة دون مبالاة بالانتاج قل او كثر نقص او زاد . . .

وليس هناك دين أمر بالعمل والاخلاص فيه واتقانه بعد اداء حق الله فى العبادة طبعا ... أكثر من الاسلام اما الاعمال التى يتضرر المجتمع من تعطيلها شهرا فى العام فمن الممكن نقص ساعات العمل من سبع إلى خمس او اقل حسب مشقة العمل وطاقة الصائم متوسط القوة والصحة على تحمله .. وصاحب الرأى فى هذا التقرير لجنة من الأطباء المختصين الذين يهمهم أمر الدين .

ومن السهل على الحكومة ان تفعل ذلك مع المجرمين الذين يقضون حياتهم فى الاعمال الشاقة المؤبدة او المؤقتة

فتصدر قرارا بخفض ساعات العمل إلى الحد الذى يطيقه اى صائم متوسط الصحة والقوة وتستعين فى ذلك بالأطباء طبعا ولن تنهدم الدنيا إذا فعلت ذلك

وهذا كله حل مؤقت إلى ان يجعل الله للمشتغلين بالأعمال الشاقة فرجا بعد الضيق ويسرا بعد العسر ولن يغلب عسر يسرين

فتقوم عنهم الآلات التى يخترعها العلماء بالنصيب الأعظم والمجهود الأكبر فى حمل المشقات والاختراعات لاتكف عن الظهور وطرق ميادين جديدة تحمل فيها الآلات المشقة عن الإنسان كما حملها عنه الحيوان من قبل حتى الامس القريب .

ومن الامثلة على ذلك ان المواد الناسفة أصبحت تحمل الشقة عن الحجارين والنحاتين والمساجين فى الجبال ثم تقوم الآلات الرافعة بمهمة شحن السيارات والقطارات والبواخر .

وفى الزراعة كان محرك الشادوف والطنبور هو ذراع الانسان ثم أصبحت الساقية تعتمد على الحيوان فى حركتها ثم انتقلت القوى المحركة الى البخار والنفط والكهرباء بإشراف يسير من بنى الانسان .

وكانت الفأس اداة يدوية فى شق الارض ثم اصبح المحراث يعتمد على زوج من الحيوان ثم أتى الحراث الميكانيكى المزود بعدة أسلحة تثير الأرض .. ثم تغير الاسلحة بما يساعد على التسوية والتخطيط . . .

وفى حفر الترع وتطهيرها وحفر أساس العمارات تقوم الحفارة الواحدة بمجهود مئات العمال ... لأن فى نهايتها صندوقا على شكل يد الانسان فيها أصابع حديدية تحفر الارض متصلة بذراع يحرك اليد فى الرفع والخفض .

وفى رصف الطرق يقوم المرداس البخارى بالمهمة (وابور الزلط) وأنا اقترح له اسم الدكاك الذى لم يعرف به من قبل وهى كلمة فصيحة من الفاظ القرآن الكريم والوارد فيه الفعل والمصدر . ولكنها فى حاجة إلى الجريان والدوران على الألسنة فى المعنى المشار إليه لتصبح مألوفة .

وكثير من الكلمات الأعجمية المعقدة فى النطق بسبب غرابة الاسم والتركيب المزجى وكثرة عدد الحروف تصبح سهلة بالتكرار الذى يعلم حتى الحمار .

والغريب ان الاسم الأعجمى احلى من العسل فى القلوب التى تشعر بالضعف امام الغرب وتشمئز من الاسم

حين تشم فيه رائحة العروبة والاصالة وتلتمس للبرءاء العيب وكل ذنبه او عيبه انه عربى فصيح .

وليس من لوازم العربية والفصاحة المطلوبة الغرابة والتعقيد بل المقصود هو العربية السهلة المألوفة التى يفهمها العام والخاص .

وفى مجال الخرسانة المسلحة يقوم الخلاط بخلط الاسمنت والرمل والزلط ثم يفرغ هذا الخليط فى اناء تعلو به رافعة إلى الطبقات العليا بالحبال المتينة او السلاسل الغليظة . ثم تحركه ذراع اعلا العمارة حتى يفرغ الحمولة على أسياخ الحديد المفروشة فوق سقف مؤقت من الخشب فى المكان المطلوب .

ثم ينزع السقف الخشبى بعد أن يجف المسلح فأصبح مجهود الانسان فى ذلك أيسر مجهود بعد ان كان مشهورا بالمشقة .

وفى نقل السوائل يسرت الخراطيم والانابيب والقصب هذا العمل بدلا من نقلها فى القرب على أكتاف السقائين او فى الجرار والبلاليص على رءوس النساء فى القرى والمدن وعلى ظهور الروايا فى الصحراوات .

وأنا موقن بأن من السهل علاج الامراض الاجتماعية وحل المشاكل التى استعصت على الحل فى مدى قرون بشرط وجود نفوس عالية متعاونة متآلفة فى قمة العطف على البؤساء والمظلومين والضحايا فيقدم المجتمع متمثلا فى الشركات والمصانع والمعامل والمرافق والمصالح والمؤسسات ظروف عمل مناسبة للصائم الذى يضطره أكل العيش إلى المشقات والتعرض للأهوال .

والتوفيق بين اداء الفريضة دون أن يضار فى رزقه أو يجوع اولاده وبين السعى على المعاش وعمارة الدنيا فى اى عمل ولو كان شاقا .

اما إذا انتكست بالعلم الذى بلغ المدى دون ايمان فإن وسائل الفتك والحرق والنسف والتدمير والقنابل الذرية والصواريخ ذات الرءوس النووية ستأتى على الأخضر واليابس ولاتبقى ولاتذر والله وحده أعلم بمصير الانسان الذى يقدر له أن ينجو من هذه الأهوال .

والخلاصة أن القضية سالفة الذكر فى صدر المقال تسير من حسين إلى حسن إلى أحسن حتى تصبح غير ذات موضوع كما يقال .... مادامت النهضة العلمية تثب إلى الامام .

وإن بقى شيء من الاعمال الشاقة بعد كل هذه التفصيلات المتقدمة فينبغى أن تستشار فيه لجنة من الأطباء المسلمين الذين يهمهم أمر الدين لتتولى تحديد وبيان الاعمال الشاقة التى تبيح الفطر للصائم بدلا من هذه الفوضى التى نعانيها .

وأنا فى النهاية قانع برتبة طالب العلم وناشد الحكمة الباحث عن الحق الذى يسره ان يجد ضالته فى أى مكان وعند أى شخص يستطيع الإطلاع ثم الاقناع بالتى هى أحسن

وفوق كل ذى علم عليم .

والله أعلم .

صدقة الايراد

سألني سائل ماذا يفعل العامل الصناعي او الزراعي الذي يشقى بكد يمينه وعرق جبينه والموظف البسيط الذي ليس عنده مدخر وانما يأكل من يده إلى فمه والجندى المتطوع الذى يتقاضى أجرا محدودا .

والسؤال يدل على حرص هؤلاء على تنفيذ أركان الدين وبدهيات الايمان ونقلها من عالم القوة إلى عالم الفعل ومن عالم المثل إلى عالم الواقع .

وإن كان ذلك فى خاصة نفسه على الأقل ، دون نظر إلى القدوة السيئة التى يجدها فى المجتمع وتقليده فى الاهمال الجسيم لهذه التعاليم وهو يرى آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول كثيرة جدا فى إيتاء الزكاة ودفع الصدقات والكرم والايثار والاحسان وإطعام الطعام وصلة الارحام والوصية بالجيران وبذل القرى للضيوف وابناء السبيل وتنفيس الكرب

عن المكروبين والتيسير على المعسرين وعون المحتاجين وإقراص المفاليس وانقاذ الأكباد الرطبة [حتى ولو كانت حيوانات شاردة] من الموت جوعا وعطشا ومرضا .

وماشاكل هذه المعانى موجها إلى الاغنياء فى الدرجة الأولى وفى معظم الاحيان ... الذين يملكون النصاب ويختلف باختلاف الثروة المملوكة الزراعة والماشية والاموال .

فالحد الأدنى الذى يعبرون عنه بالنصاب فى الأخيرة عشرون دينارا من الذهب تساوى اثنى عشر جنيها ذهبيا بالعملة المصرية وماتساويه هذه الجنيهات او الدنانير من العملة الورقية .

وسبق ذكر حال السائل فى اليسر والعسر والسعة والضيق وهو ليس غنيا على هذه الصفة وبناء على ذلك لاتجب عليه الزكاة المفروضة .

ولكنه يرى نصوصا عامة يدخل فيها الاغنياء والفقراء على السواء استدل بها الذين يقولون بوجود حقوق أخرى فى المال غير الزكاة وهم من الفقهاء العظام والعلماء الاعلام على مدى القرون والاعوام الذين كانوا من السباحين المهرة فى بحر الاجتهاد .

مثل ابن حزم فى كتابه المحلى وابن تيمية وغيرهم ومن هذه الحقوق النفقة على الوالدين والاقارب وبذل الماعون والمساهمة فى النوازل والمحن والعون على مصائب الدهر وإسعاف المصاب هذه النصوص أمثال الآيات التاليات :

﴿ ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة ﴾ (١)

فإيتاء المال على حبه للاصناف الموضحة غير الزكاة المذكورة فيما بعد والعطف يقتضى المغايرة . ولو كان إيتاء المال يقصد منه الزكاة لكان تكرارا يؤدى إلى ان يكون القول بلا فائدة .

والقرآن منزه عن ذلك .

﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ (٢)

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٧

(٢) سورة آل عمران آية ١٣٤

فالانفاق مطلوب فى حالة السراء ... الغنى والضراء ... الفقر

﴿ والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولايجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾[1].

الايثار على النفس صفة محمودة عند الفقير الجواد بما لديه وإن كان محتاجا إليه .

﴿ وفى اموالهم حق للسائل والمحروم ﴾[2]

الحق غير المعلوم يشمل الغنى والفقير أما الآية الأخرى التى تصف الحق بأنه معلوم فهى فى الزكاة الواجبة على الأغنياء ملاك النصاب

﴿ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾[3]

عطف أنفقوا على آمنوا وهذا يقتضى العموم للغنى والفقير والجود بالكثير واليسير

---

(١) سورة الحشر آية ٨

(٢) سورة الذاريات آية ١٩

(٣) سورة الحديد آية ٧

﴿ ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ﴾[1]
الصدقة مما يزيد على مقدار الحاجة
أما الاحاديث فهى كثيرة نذكر منها مايلى :
(على كل مسلم صدقة قالوا يارسول الله فمن لم يجد قال يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق)[2]

فالصدقة مطلوبة حتى ممن ليس عنده شيء وليس امامه الا أن يعمل بكد يمينه وعرق جبينه ليعول نفسه ثم يعطى غيره من أجر عمله .

(كل سلامى من الناس عليه صدقة)[3]

(ألا فليتصدق رجل من دينار . من درهمه من صاع بره من صاع تمره إلى ان قال ولو بشق تمرة)[4]

(يانساء المسلمات لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة)[5]

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٩
(٢) صحيح مسلم ٣ / ٨٣ والبخارى ٢ / ١٤٣
(٣) صحيح مسلم ٣ / ٨٣ والترغيب والترهيب ١ / ١٤٣ ، ٢٨٧
(٤) صحيح مسلم ٣ / ٨٧ والبخارى ٩ / ١٢٧
(٥) صحيح مسلم ٣ / ٩٣

(لايتصدق أحدكم بثمرة من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه فيربيها كما يربى أحدكم فلوه او قلوصه حتى تكون مثل الجبل أو اعظم)[١]

(سئل رسول الله عن أفضل الصدقة فقال جهد المقل)[٢]

(سبق درهم مائة ألف درهم فقال رجل وكيف ذاك يارسول الله قال رجل له مال كثير أخذ من عرض ماله مائة الف درهم فتصدق بها ورجل ليس له الا درهمان أخذ أحدهما فتصدق به فهذا تصدق بنصف ماله)[٣]

وفى الاناجيل (الحق اقول لكم ان هذه الارملة الفقيرة ألقت أكثر من جميع الذين القوا فى الخزانة لأن الجميع من فضلتهم ألقوا وأما هذه فمن إعوازها ألقت كل ماعندها كل معيشتها)[٤]

حتى من لايملك المال كالزوجة والخازن والعبد رخص لهم ان يتصدقوا ولصاحب المال أجر مثلهم [٥]

---

(١) صحيح مسلم ٣ / ٨٥
(٢) الترغيب والترهيب ٣ / ٢٢٣
(٣) الجامع الصغير للسيوطى ص ١٧١
(٤) إنجيل مرقس اصحاح ١٢ ولوقا ٢١
(٥) صحيح مسلم ٣ / ٩٠

وفى الواقع العملى لحياة كبار الصحابة رأينا ابا بكر مسلطا على هلكة ماله فى الحق وهذا مما يحسد عليه فأنفقه كله فى سبيل الله فلما سأله رسول الله ماذا أبقيت لأولادك قال له أبقيت لهم الله ورسوله ومن ذلك انه اشترى بلالا وأعتقه وأنقذه من عذاب الجبارين [فراعين هذه الامة] وفعل ذلك مع غير بلال .

وكان رأس ماله عند اسلامه ٤٠٠٠٠ درهما زادت فى عمليات التجارة طبعا ولكنها هلكت فى الحق فأصبحت عند الهجره خمسة آلاف درهم حملها معه إلى المدينة ولم تكن الزكاة الواجبة قد فرضت بعد وأنفق عمر نصف ماله فى سبيل الله فلما سئل ماذا أبقيت لأولادك قال أبقيت لهم النصف وكان ابن مسعود يقسم ثمر الزرع أثلاثا يدخر الأول لأهله ويبقى الثانى للانفاق على الزرع الجديد فى الموسم التالى اما الثلث الأخير فهو مخصص للصدقة ، ومثله[1] صاحب الحديقة التى أمرت السحابة أن ترويها لأنه كان يتصدق بثلث الثمار ...

ومثله[2] حديث سعد بن ابى وقاص حين أراد الوصية بماله وهو مريض فلم يوافق رسول الله إلا على الثلث فكان الحد

(١) حديث ٥٦٢ فى رياض الصالحين للنووى

(٢) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووى حديث ٧

الأقصى لتصرف المريض او المحتضر الذى يريد ان يستدرك مافاته من الخير فى حياته فن وجوه الخير وألوان البر والتوفيق بين هذا الغرض النبيل وبين حق الورثة فى مال مورثهم فلا يعرضهم للجوع ولايتركهم عالة يتكففون الناس

وجهز عثمان بن عفان جيش العسرة واشترى بئرا فأنقذ المسلمين من تحكم اليهودى .وتسلطه واحتكاره لأول الضروريات وهو الماء وطبق الحديث الشريف .

(المسلمون شركاء فى ثلاثة : الماء والنار والكلأ)[١] والغريب ان الناقة زادت لقوم صالح صنفا رابعا هو اللبن ... معجزة فريدة لم تتكرر وزادت معجزة أخرى لعيسى هى الطعام فكانت المائدة التى طلبها الحواريون عبدا لأولهم وآخرهم وآية من الله لخلقه على صدق عيسى فى رسالته .

وآن لنا الأوان ان نعود إلى السائل بعد هذا الاستطراد الطويل والاستعراض للأدلة . فهو يريد – وعلى العين والرأس مايريد – أن يجعل للآيات والاحاديث ووقائع الأحوال والسير الشريفة المذكورة كأمثلة فقط لاعلى سبيل الحصر .... معنى مطبقا وواقعا منفذا بدلا من تلاوتها فى المحاريب وتضمينها

---

(١) الجامع الصغير للسيوطى ص ٣١٩

فى الخطب على المنابر وطباعتها فى الكتب والصحف وقراءتها فى الاذاعة والتلفزيون وكأنها تخاطب الأموات كما قال الشاعر

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكنى لاحياة لمن تنادى

نعمت الرغبة أيها العامل الكادح والزارع الأجير والموظف البسيط .

وهذه الأوصاف والاصناف تمثل الأغلبية الساحقة والسواد الأعظم . ومايشغل فكرك بشغل كثيرين غيرك .

(ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)[1]

أنت مشكور على الشعور النبيل والنفس اللوامة والضمير الحى .

أكثر الله من أمثالك فى الأمة .

لم تفكر فى الاستغناء بالضرائب التى تدفعها كرها لاطوعا فى المنبع كل شهر قبل أن تقبض المرتب من الصراف ودفع الضرائب لايقوم مقام الزكاة ولاينوب عن الصدقات لئلا تطمس الضريبة المدنية الزكاة والصدقات فيتكون الجباية أمرا

---

(١) سورة التغابن آية ١٦

مدنيا بحتا لا أثر فيه للعبادة ولا صلة له بالدين وبذلك يضيع ركن هام فى من أركان .

الاسلام الخمس . .

وهو قرين الصلاة ونعم القرين .. الصلاة حق الرب والزكاة حق العبد . وبهذا تزيد الأعباء فوق ظهور المؤمنين وحدهم .

اما الفجار والفساق والملاحدة والكفار فإنهم لايعترفون بزكاة ولابصدقة ولايهمهم دين ولا دولة .

وإن خضعوا للضريبة فى الظاهر فسرعان مايفرون منها فى الباطن فرار السليم من الأجرب او فرار الانسان فى الأسد . . .

وهناك طرق كثير تؤدى إلى هذه الغاية . الهدايا والرشى والمجاملات والولائم وتحويل الاموال إلى دول أخرى ونقلها إلى اسماء الزوجة والاولاد والأخوة او تحويل مجال عملها فى الاستثمارات التى تخف فيها الضرائب إذا تساوت مع سابقتها فى الفوائد والعوائد .

والبحث عن ثغرات فى قانون الضرائب يمكن الافلات منها او تخفيف وطأتها .

ولولا أنها تؤخذ قهرا عنهم مادفعوا منها مليما واحدا ... لم تفكر فى أنك من اهل العفو لاتملك الحد الأدنى الذى يعبرون عنه بالنصاب ولاتنطبق عليك شروط الزكاة وانما تريد ان تدفع بانتظام صدقة إيراد لله كما تدفع لقيصر ضريبة شهرية او سنوية مقسمة على الشهور ... وقيصر لايعتق الفقراء ذوى الدخل المحدود من الضرائب . ومن العيب عند ضمير المسلم ونفسه اللوامة ان يعطى قيصر حقه ويمنع ربه حق السائل والمحروم ويزيد الامر حسنا إذا كان من اهل القدوة ولو فى نطاق ضيق محصور بين الاولاد والزوجة فى الاسرة والجيران فى البيت والزملاء فى العمل والتلاميذ فى المدرسة والزبائن فى المحل ... ثم هناك شكر الوهاب على نعمه وتطهير النفس من عار البخل بتزكية وتطهير مايقع فى اليد من الدخل المحدد والكسب القليل واتخاذ نظام متبع ومنهج مرسوم يعود الكرم والاحسان والايثار بدلا من نظام الصدقة والفلته .

والخير عادة والشر عادة . بدلا من الاهمال الذى يسوق النفس إلى الشح او الشح الذى يقود إلى الاهمال ولا تلقى بالا لهؤلاء الذين يأمرون الناس بالبخل ويساعدون النفس على الشح بذكر الأمثال مايحتاجه البيت يحرم على الجامع ، البحر يحب الزيادة واستهزاء المستهزئين بالفقير الذى يجاهد نفسه

فى البذل مع أن الاحاديث التى مرت تجعل صدقته اسمى من زكاة الغنى .

والغريب أن هؤلاء المستهزئين لايعيبون الاموال التى تضيع هباء فى الدنيا والآخرة مثل شرب الدخان وسائر الكيوف الأخرى عند اصحاب المزاج العالى بل يعتبرونها من علامات الشعور بالرجولة والحرية وعزة النفس ودلائل التحضر والتمدن والفهم .

بعد الاطلاع على نصوص الزكاة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة وماتلاهما من اجتهادات المذاهب المشهورة والمهجورة يرى الباحث انها واجبة فى الحبوب والثمار وسائر المحاصيل الأخرى كلما نضجت وزادت على النصاب خمسين كيلة العشر إذا كان الرى بالراحة ونصفه إذا كان الرى بالآلات .

اما زكاة الماشية فهى فى كل سنة مرة بعد بلوغ النصاب والاعداد المقدرة فى كل نوع من الماشية معروفة فى كتب احاديث الاحكام والفقه دون نظر إلى تكاثر المواليد .

هل يتم فى جزء من العام كما يحدث للغنم والماعز فإنها تلد فى العام أكثر من مرة وتأتى بأكثر من واحد فى البطن او يستغرق الحمل فى البطون أكثر من العام .

وقد سبق ذكر نصاب المال وشرط الحول – وإن تكررت المكاسب فى كل يوم مرة .

وبمناسبة الكلام على الحول فهناك تجارات تبور وتبقى عند صاحبها اعواما فى ملكه لم يبع منها شيئا .. .

فمم يدفع زكاتها ؟ إن كان عنده مال آخر قومها كل عام ودفع عنها الزكاة والا قومها وأصبح مبلغ الزكاة دينا فى ذمته إلى أن يبيع فيؤدى زكاة الجميع عن الاعوام السابقة مرة واحدة .

وهنا يأتى سؤال آخر هلى على المبالغ التى خصصت للزكاة وأصبحت دينا فى ذمة المزكى ... زكاة فتكون مركبة وهذا معروف فى الربح المركب من مباحث الربا ومسائل الحساب .

والجواب على هذا السؤال الأخير ان الزكاة لاتجب على مال واحد مرتين وهذا مايسمونه الثنيا .. ويعفى الحد الادنى من المعيشة وتخصم الديون وهى مسائل توقيفية لامحل فيها للاجتهاد تلقاها الطلاب عن العلماء كابرا عن كابر وجيلا بعد جيل وأبناء عن آباء .

ادفع ايها الموظف البسيط مادامت هذه رغبتك أكثر الله من أمثالك فى الأمة وزادك إيمانا وحرصا وبارك فى مالك

القليل ورزقك المحدود وأولادك ربع العشر عن كل جنيه او دينار تقبضه من الصراف فى كل دورة للنقود وهى بالنسبة لك كل شهر وإذا رغبت زيادة فى الكرم والايثار درجه فادفع عن كل فرد فى الاسرة تأمينا صحيا عند الله يعادل الاشتراك فى التأمين الصحى . .

وإن كنت فى بيت تملكه يكفى سكنك ولايزيد عن الاستعمال الشخصى ولاتستغله بإيجار شهرى فافرض أنك تؤجره وتدفع لمالكه المبلغ المتفق عليه فى عقد الايجار كل شهر .

فمن شكر نعمة السكنى فى الملك وتوفير الايجار المستحق أن توزع إيجار شهر على بقية شهور السنة صدقة لوجه الله الكريم .

وإن أحببت ان تكون الزكاة من نفس النعمة وعندك سعه فى الدار فاجعل احدى الغرف ولو كانت على السطح أو سردابا تحت الدور الأول او الطابق الأرضى مأوى لمسكين أو ملجأ لفقير دون أن تأخذ منه شيئا . .

او ادفع له إيجار سكنه .

ومن المعروف فى الزكاة الواجبة أن حاجات الاستعمال الشخصى معفاة مثل الماشية المركوبة وقفّت على أثرها فى

العصر الحديث . السيارة والدراجة البخارية والمعتادة .

والانعام المحلوبة والبيت المسكون وحلى الزينة للنساء وسلاح الجندى وكتب العالم وآلات الحرفة وأثاث البيت .. الخ .

لأن من شروط الزكاة النماء وهذه أشياء ليست نامية بالفعل ولا بالقوة .

ويجب الالتفات إلى أن الأغنياء يبالغون عادة فى حاجات الاستعمال الشخصى فيكون للواحد بضع سيارات لكل فرد فى الاسرة سيارة وعشرات من بيوت او قصور او شقق السكنى موضوعة تحت تصرفه فى كل بيت او قصر او شقة أثاث عظيم القدر وفراش غالٍ ونمارق وأغطية وأوعية وثلاجات وغسالات وخلاطات ومسجلات ومواقد ومراوح ومدافىء وأسرة وثريات كهربائية وتحف وطرف وذخائر وجواهر ونوادر .

وفى الموضوع كتاب الذخائر والتحف يصف فيه مؤلفه كنوز الفاطميين الذين ملكوا مصر عدة قرون قبل الأيوبيين .

بل إن القصر الواحد يفوق حيا كاملا وخطة شاملة وحدث عن الملابس ولا حرج مئات الحلل والبذل والفساتين

والخفاف والصنادل والاحذية الخ موضوعة فى خزائنها رهن الاشارة .

حبس الغنى نماء هذه الاموال التى تجسدت فى ألوف من السلع الاستهلاكية بحجة الاستعمال الشخصى .

وفتح بابا من الترف والاسراف يدخل الجمال بالحمول والاثقال ... وينبغى على أهل النظر وضع قيود وقرض ضوابط فى حاجات الاستعمال الشخصى التى تزيد عن جدها فتنقلب الى ضدها .

ومن هذا على سبيل المثال لا الحصر ان بنت عبود باشا المليونير المشهور فى عهد الملكية كان لأرجوحتها فى مزارع كوم امبو ثلاثة حبال من الحرير الأخضر ثمنها اثنا عشر الف جنيه من جنيهات تلك الأيام المساوية او القريبة فى القيمة من القرين الذهبى جنيه ينطح جنيها وليس عددا فى الليمون كما حدث له فيما بعد .. وليس الترف او الاسراف عيبا فى الرأسمالية او الاقطاع وانما هو عيب فى الاشتراكية او الشيوعية ايضا فقد أنفق ستالين ببذخ القياصرة على فرح ابنته .

ومسك الختام فى هذا الموضوع قائمة جهاز فاطمة بنت الرسول مدونة فى طبقات ابن سعد ذكرتها بالتفصيل فى

مقالى[1] أزمة الزواج ولو شاء لعاش فى جنات تجرى من تحتها الانهار بين القصور والحور والولدان والكنوز والموائد الحافلة بمالذ وطاب والافراح والمتع . والجنود والبنود والحشود وينعم مثل قياصرة زمانه وأكاسرة أوانه ، ....

وحين تحل عليك مكافأة سخية او منحة وهدية تأتى بغير مجهود فادفع عشرها مرة واحدة قبل أن تنفقها فى حاجاتك الضرورية .

واجعل ختام الصيام فى رمضان مسكا بدفع زكاة الفطر . مع السرية التامة حتى عن الزوجة والولد والابوين والصديق لسائر الاصناف التى جاء الحث على إكرامها وإعطائها فى القرآن الكريم وفى الاحاديث الشريفة .

وقد وردت السرية التامة فى حديث[1] السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة يوم لاظل الا ظله أو ليس هذا النص صريحا غاية الصراحة فى السرية التامة عن أقرب الناس إلى المتصدق ... لدرجة أن الشمال لانعرف نفقة اليمين ... والسرية منصوص عليها فى آيات القرآن الكريم[2] .

---

(١) الوعى الاسلامى جمادى الآخرة ١٣٩٣ هـ يولية ١٩٧٣ م
(٢) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووى حديث ٣٧٨
(٣) سورة البقرة آية ٢٧٤ وابراهيم ٣١

لاأستثنى الا الزوجة العاملة او الموظفة ذات الايراد لأنها شريكة فى المال تعلم وتستأذن فإن سمحت نفسها فيها ونعمت والا فليدفع الزوج عن نفسه وايراده فقط فهى صدقة ليست واجبة .

و (كل امرىء بما كسب رهين)[1]

(ومالنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين)[2]

وإذا كان الفقير على هذه الصفة يريد ان يوق شح نفسه فماذا يفعل اصحاب الدخل العالى والمكسب العظيم سواء أتى هذا الايراد من وظائفهم الكبيرة فى الحكومة او فى القطاع العام والخاص ، فى دولهم او فى دول أخرى منتدبين او معارين او بعقود شخصية او كان من الاعمال الحرة التى يزاولها صاحبها مع الوظيفة كالطبيب والمهندس والمقاول والمحامى والمحاسب والخياط والكهربائى والتاجر الخ

تضم الدخول الى بعضها إن كانت متعددة المصادر وتحسب الزكاة الواجبة على اساس متوسط الدخل فى اليوم مضروبا فى ايام العمل بالسنة ومعنى ذلك خصم ايام العطلات والراحات والاعياد ... ويطرح ايضا من هذا الايراد الحد

---

(١) سورة الطور آية ٢١

(٢) سورة سبأ آيو ٣٩

الأدنى للمعيشة وأنا استحسن ان يكون المتروك مرتب الوظيفة إن كان من الموظفين لأن كثيرا من هؤلاء يعيش على المرتب وحده ثم نطرح ايضا تكاليف المهنة ويزكى الباقى إن بلغ نصاب النقود – وقد مر ذكره وهنا يأتى سؤال آخر .

هل يضم أجر الزوجة العاملة او دخل الفنية ويزكى الايرادان معا كأنهما مال واحد وهذه حالة شائعة بعد الالتزام بعمل المرأة فى وطنها أو فى الهجر خارج الوطن وكثير من الزوجات كن الأصل فى الهجرة ، والجواب ان الضم او الخلطة جائزة فى زكاة الماشية للأجانب وتقاس عليها الشركات المساهمة والزوجان العاملان فى الاموال .

أم إن الدنيا لاتهون الا على الفقير فهو الذى يسأل ماذا يفعل فى الآيات والاحاديث المتقدمة أما الفنى فهو لايسأل ... سؤاله عن الزيادة لاعنى النقصان . شغلته أمواله وألهته أحواله عن شكر الرازق الوهاب على رزقه ونعمه وحياته ليبقى المدد فياضا من السماء دون أن يفيض بسبب كفران النعم .

﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد ﴾

---

(١) سورة ابراهيم آية ٧

والآيات والاحاديث فى باب الشكر كثيرة .

وكان الأولى ان تتقدم الزكاة الواجبة على اصحابها لمنفعة مستحقيها فتأخذ مكان الصدارة ولكن السؤال هو السبب فى التقديم والتأخير وليس فى يد المسئول او المجيب الا فائدة السائل والمراد الا منفعة المريد .

عـذاب القبـر

سألنى سائل فى مجلس علم عن عذاب القبر . وطالما أثيرت هذه المسألة فى كثير من المجالس والمحاضرات والامالى والمسامرات والاحاديث والدروس فهى قضية قديمة وجديدة فى كل عصر مادامت نهاية الانسان محكومة بالموت .

سأل عنها أهل القرون الخوالى والعصر الحالى ولن تكف عن السؤال الأجيال التى تستخلف فى الأرض مؤمنهم وكافرهم فى ذلك سواء ، أما المؤمن فقد تولت الكتب السماوية اجابته إلى ماسأل واما الكافر فقد اتجه إلى الفلسفة والفلاسفة فخاضت ظنونهم فى بحر الظلمات وعادت فى النهاية بخفى حنين لأنهم طلبوا بالعقل مالا تدركه العقول (طلبت بالعقل فوق العقل منزلة فشاء ربك الا تدرك الطلبا) ولو غربلت المسائل التى عملت فيها العقول من قبل وصالت

وجالت فيها الآراء والاجتهادات وتصارعت المذاهب ودون هذا الصراع بخيره وشره وحلوه ومره لما بقى الا القليل ...

فهل استطيع أن آتى فيها بجديد سأدلى بدلوى بين الدلاء والحكم للقراء

وأمرى إلى الله

ذكرت الآية الواردة فى عذاب فرعون وآله بعد ان قامت عليهم الحجة برسالة موسى

﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقدم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾(١)

آله أتباعه فى الدين والمذهب وقد لفت نظرى أن اهل ملته قدموا فى دخول أشد العذاب .

فالغدو اول النهار والعشى آخره وهذا لايكون الا والشمس مسخرة دائبة فى الدنيا.

اما فى الآخره فقد وردت الآية

﴿ إذا الشمس كورت ﴾ (٢)

---

(١) سورة غافر آية ٤٦

(٢) سورة التكوير آية ١

وتكويرها لفها او رفعها وإزالتها وقبل لف ضيائها والآية ﴿ **لايرون فيها شمسا ولازمهريرا** ﴾[1]

أما الآية ﴿ **ومن اعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾[2]

قال بعض المفسرين إن المعيشة الضنك فى الدنيا لأنها قبل الحشر واستدل بها آخرون على عذاب القبر وهو باب فى كتب الحديث يندرج تحته الكثير منها ولمن شاء ان يراجعها فى مظانها .

وأكتفى منها بما يلى وهو الأول فى الباب عن عائشة رضى الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت أعاذك الله من عذاب القبر فسألت رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال :

(نعم عذاب القبر حق قالت فما رأيت رسول الله صلى صلاة الا تعوذ من عذاب القبر)[3]

رواه البخارى ومسلم

---

(١) سورة الانسان آية ١٣

(٢) سورة طه آية ١٢٤

(٣) الترغيب والترهيب ٤ /٢٢١

وهى درجة عالية فى توثيق الحديث ليس بعدها زيادة لمستزيد ..... ثم قال السائل كيف يعذب من حرق وذرى رماده فى الهواء ومن أكلته الاسماك فى الماء والوحوش فى الصحراء ومن بعثرت أجزاءه القنابل فى الحروب

كيف تجمع ذرات هؤلاء وتعود خلايا أجسامهم مكونة العظام واللحم ثم يعذبون .

وقد جمع رجل من السابقين هذه الانواع كلها فأوصى بحرقه بعد الموت ثم يؤخذ المحروق فيسحق ويذرى نصفه فى البر ونصفه فى البحر لتكون ذرات جسده محروقة مسحوقة غريقة فى الماء مذراة فى الهواء .[1]

فقلت عيبنا أننا نقيس قدرة الخالق على قدرة المخلوق وعالم الغيب على عالم الشهادة .

(قد علمنا ماتنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ)[2]

(ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه)[3]

---

(١) الاحاديث القدسية ا ص ٨٨ - ٩٤

(٢) سورة القلم آية ٤

(٣) سورة القيامة آية ٣

علم الله ماتأكله الارض من اللحوم والجلود والعظام والشعور .

ولو فرضنا جدلا ان القميص الذى ترتديه اوتى ذرة من العقل . أكان يقيس طاقته وقوته على طاقة وقوة وقدرة الغزال والنساج والصباغ والخياط ولاحظ تعدد هؤلاء الذين تعاونوا فأصبحوا شركاء فى صنعه من بنى البشر .

ثم ماذا تقول وماذا تفعل حين ترى تطاول القميص على صناعه وقياسه قدرته على قدرتهم وظنه أن مالا يستطيعه يعجز عنه صناعه

يحضرنى بهذه المناسبة بيت أبى العلاء :

وطاولت الارض السماء سفاهة

وفاخرت الشهب الحصى والجنادل

وهذه الأبيات الجارية مجرى الأمثال يستذكرها الأدباء والمؤلفون فى معانى لم تخطر لقائليها على بال .

ومن هذه السفاهة طلب الحواريين – على صفة الشك – من عيسى بن مريم ... ان ينزل الله عليهم المائدة

﴿ هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء ﴾[1]

ولما سمعت الآية **﴿ كل يوم هو فى شأن ﴾**[2]

سأل عبدالله بن منيب الازدى رسول الله :

وماذاك الشأن فقال

(أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين)

وهذه أمثلة للتغيرات المستمرة الحدوث فى الدنيا وفيها اشارة الى معنى الآية المشهورة

﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير ﴾[3]

ومع ذلك فلنحاول ان نر مايحدث فى الدنيا .. فى عالم الشهادة ... تتعرض الخلايا للموت بصفة مستمرة فيفقد الجسد كما يقول علماء الطب ١٢٥ مليون خليه كل ثانية ويولد بدلها أمثالها وصورة طبق الأصل منها جديدة ليحافظ الجسر على حياته ووجوده .

---

(١) سورة المائدة آية ١١٢

(٢) سورة الرحمن آية ٢٩

(٣) سورة آل عمران آية ٢٦

وأصل هذه الملايين من الخلايا التى تفقد باستمرار وتتجدد على الدوام خلية واحدة ، فعملية جميع الذرات وتكوين الخلايا موجودة فى الدنيا . فأنت قد تفطر خبزا أتى قمحه من كندا خلط بدقيق ذرة من مصر .. وفولا من الصعيد اما الماء فقد جعل الله منه كل شيء حى .. كان الماء العذب أجاجا هائما على وجهه فى اى محيط أو بحر ثم حولته العناية الالهية بفعل حرارة الشمس إلى بخار اصبح سحابا يجرى بين السماء والارض إلى ان يؤذن له فينزل مطرا ساقطا على الهضاب والأودية . .

ومن اى ارض جاء النيل ... من هضبة البحيرات والحبشة ثم سار ألوف الأميال فى النهر وفروعه ثم رفعته السواقى والمضخات وكرر فى المرشحات وسار فى الانابيب وحفظ فى الخزانات وشرب منه النبات والحيوان ثم وصل إلى حضرتك أخيرا بعد هذه المرحلة الطويلة فعجن به العجين وطبخ به الطعام ووضع فى الأزيار والقلل أو المبردات والثلاجات ثم فى الأكواب على المائدة

وتشرب شايا من سيلان حلى بسكر من قصب كوم أمبو ... وتتغذى بأرز من فارسكور ولحم من المنصورة وقلقاس من شنوان وبرتقال من كفر شكر وموز من افريقيا .

وقد تركت السلطة والتوابل لكثرة الأصناف ... وتتعشى

بسمك من روسيا أو جبن من هولاندة وتمر من العراق ... ثم تختم بشرب قهوة من بن اليمن او البرازيل ... وكان الطبيخ على وقود أتى من بئر نفط فى الظهران او الكويت .

وقد سهلت البواخر والطائرات والقطارات والسيارات بقوتها وضخامتها وسرعتها نقل المحاصيل والخامات والمأكولات من اقرب مكان الى ابعد مكان .

من الشرق الأدنى الى الغرب الأقصى وبالعكس فى زمن يسير لاتفسد فيه المأكولات ولاتتغير المشروبات مادامت قد عولجت بوسائل الحفظ المهم ان هذه الاطعمة والاشربة جمعت من شتى بقاع العالم وتحولت الى خلايا حية فى جسدك تحل باستمرار محل الخلايا الميتة .

وتستطيع المحاكم او مجالس التأديب أن تحاسبك إذا ارتكبت جريمة ثم توقع عليك العقاب وتعرضك على العذاب صباحا ومساء

ومايحدث لك يحدث لملايين المخلوقات من الأحياء فلماذا يستحيل فى نظرك جمع الذرات بعد الموت وأنت تراه حقيقة ماثلة كل لحظة فى الدنيا وعسى ان يقترب الحق من عقلك فترى ماظننته مستحيلا أصبح ممكنا . فتعود ذرات الجسم المتفرقة فى أماكن شتى ثم يحاسب ويعرض على النار إن كان من المعذبين وينعم إن كان من أهل اليمين .

وهناك سوابق أخرى قد حدثت فى الدنيا تم فيها البعث بعد الموت . ذكرها القرآن الكريم

﴿ وإذ قال ابراهيم رب أدني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن تأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم ﴾ (١)

فهذه تجربة عملية أجراها ابراهيم أبو الانبياء على الطيور ذبحهن ونتف ريشهن وقطعهن وفرق هذه الأجزاء على الجبال ثم دعاهن فأتينه سعيا بإذن الله .

وقبل ذلك فى الذكر الحكيم وبعد ذلك فى الزمن القديم **﴿ أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير ﴾** . (٢)

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٠

(٢) سورة البقرة آية ٢٤٣

مر العزير على بيت المقدس بعد تخريب بختفر لعمرانها وقتل اهلها فاستبعد عودتها كما كانت فأراه الله الآية فى نفسه وبعثه بعد موت مائة عام ورأى طعامه وشرابه وحماره لم يغير منهم الموت شيئا . .

﴿ الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهو ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ﴾ (١)

خرج هؤلاء الناس من أوطانهم هربا من الموت بالطاعون فماتوا حيث ذهبوا ثم أحياهم الله . وفى طاعون عمواس بالشام بعد فتحها فى عهد عمر ابن الخطاب استقر الرأى على الحجر الصحى . فلا يدخل أحد من البلاد السليمة إلى الأرض الموبوءة ولايخرج أجد منها فرارا من المرض وقد ورد فى هذا المعنى حديث شريف احتج به الذين قالوا بهذا الرأى دون أن يعلموه ولما علموه زادهم ذلك إيمانا .

أما أهل الكهف فهم أشهر المبعوثين بعد الموت فى الدنيا حتى إن السورة التى تتوسط القرآن اطلق عليها اسم الكهف الذى أووا إليه فرارا بدينهم من الفتن ، ولكنهم لم يموتوا الموتة الكبرى وانما كانوا فى منزلة بين المنزلتين ، الحياة

---

(١) سورة البقرة آية ٢٤٣

والموت الموتة الصغرى رقودا يتقلبون فى منامهم . وظلت أجسادهم فى جلودها وعظامها وأشعارها سليمة لم تتحلل او تتفتت أو تتمزق كما يحدث للموتى

﴿ ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازوادوا تسعا ﴾

وكان رد القرآن على منكرى البعث ان الانسان خلق لأول مرة فى الدنيا من عدم والخالق فى اول مرة يستطيع اعادة الكرة فى الآخرة .

﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾

استبعد أبى بن خلف البعث بعد الموت وقيل إنه جاء بعظم فتفتت فجل يذريه فى الهواء مستنكرا عودة هذا الفتات المذرى أمام الرسول فقال له رسول الله نعم يبعثك ويدخلك النار فالذى جمع ذرات كل جسم وكون خلاياه من أطعمة جاءت من أماكن شتى بينها مسافات شاسعة فى الدنيا يستطيع جمع الذرات بعد الموت سواء تفرقت وبعثرت وانتشرت او ظلت فى مكانها ملمومة وهناك تتمة يكثر السؤال عنها فى زيارة القبور للرجال والنساء . اما الرجال فأمرهم معروف فى الاباحة للعظة والاعتبار وأما النساء فقد زارت ام

الرسول ﷺ قبر زوجها عبد الله [والد الرسول] فى يثرب فقد مات بين اخواله من بنى النجار وكان معها ابنها المصطفى فيما بعد للرسالة طفلا صغيرا فى الخامسة من عمره(١)

وزارت عائشة أم المؤمنين قبر أخيها عبد الرحمن فى مكة قادمة من المدينة(٢) وتمثلت ببيتى الشعر :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فلما اعترضوا عليها بأحاديث نهى النساء عن زيارة القبور قالت إن الاباحة هى الأخيرة .

وفى الصحيحين ان رسول الله مر بامرأة تبكى صبيا لها عند قبر فأمرها بالصبر فقالت إليك عنى فإنك لم تصب بمصيبتى فلما ذهب قيل لها انه رسول الله فاعتذرت بأنها لاتعرفه فقال : إنما الصبر عند الصدمة الأولى(٣) .

والشاهد فى الحديث أنه أنكر عليها الجزع وأمرها بالصبر ولذلك كان مندرجا فى باب الصبر وللجمع بين احاديث النهى والاباحة تحمل الأولى على الزيارة التى يبدو فيها مظهر

---

(١) فقه السيرة للغزالى ص ٥١ وفقه السنة ٤ / ١٧٢
(٢) فقه السنة ٤ / ١٧٢ ، ومعجم البلدان لياقوت ٣ / ٢١١
(٣) رياض الصالحين للنووى حديث ٣٢

من مظاهر الوثنية كالطواف وتقبيل الاعتاب وأخذ البركة من الأخشاب والتمسح بالحجارة وتقديم القرابين والنذور أمام القبور والخروج بالظهر والدعاء منهم لالهم وتقديم عرائض الاحوال واعتقاد النفع والضرر .

ومظاهر الجزع كلطم الحدود وشق الجيوب وشد الشعور وتسخيم او تسويد او تطيين الوجه والتمرغ فى التراب والنواح والدعاء بدعوى الجاهلية وتحمل الثانية على الزيارة الخالية من هذه المظاهر سواء فى ذلك الرجال والنساء .

وهذا توفيق حسن يمنع التعارض بين النصوص وبه أقول ولست فريدا فى هذا القول .

وبه يتحد العقل والنقل .. فالوفاء والحنين إلى الأحباب الذين رحلوا عن هذا العالم شعور طبيعى فى الرجال والنساء يؤدى إلى زيارة القبور وهنا تأتى مشكلة اهل الظاهر الذين يتمسكون بالنص دون فهم الاغراض والعلل والغايات والقاصد او يتمسكون بنص واحد ويرفضون كل ماعداه كأنه ليس فى الموضوع الا اياه ولايكتفون بذلك بل يتهمون اهل الذكر الذين يرفضون الدوران فى أفلاكهم بما لاتحمد عقباه ولايحسن ذكره .

وأرجو ايها السائل ان تكون وسائر من حضر معك قد اقتنعتم بعد عرض الأدلة العقلية والنقلية وان يكون نشر هذا الحديث الذى دار بين أربعة جدران على اوسع نطاق سبيلا الى اقناع الباحثين عن الحق المخلصين فى طلبه والاتجاه إليه كما تتجه الإبرة المغناطيسية إلى جهة الشمال مهما كانت خطورة المسائل التى تطوف بالأذهان وتخطر على البال .

هؤلاء سؤالهم على العين والرأس وجوابهم ايضا على العين والرأس

اما غيرهم من هواة الجدل ومحبى الظهور وعشاق التعجير فيلزمهم اقامة الحجة من العقل والنقل لتكون سدا عاليا من بين ايديهم ومن خلفهم فلا يستطيعون إثارة بلبلة ولا زعزعة ايمان ولاتتم فرحتهم بتعجير مسئول

وعلى الله قصد السبيل

مجالس

يموج المجتمع المصرى – فى الوقت الحاضر – بكثير من القضايا التى تطفو على سطح حياته فتشغل الاذهان ، ويذهب فيها اهل اليمين مذاهب تخرج بها عن جادة العقل والصواب وكذلك الحال فى أصحاب الشمال وكنت فى مجلس تعزية ألقيت على فيه هذه المسائل من شباب حيارى يريدون الاقتناع والطمأنينة والراحة النفسية التى تكون بالاستناد إلى دليل قوى وحجة دامغة وسلطان مبين .

ومأأكثر هذه الاسئلة فى المجالس والمواقف وغيرها فالجدل مستمر لاينقطع يصادفه العامل فى عمله بين زملائه وتلامذته إن كان مدرسا وطلابه إن كان استاذا وزبائنه إن كان تاجرا ومرضاه إن كان طبيبا وبلدياته إن كان عمدة أو شيخ بلد . ثم يجده فى البيت بين زوجته وأولاده وضيوفه وزواره ولايتركه حتى لو كان فى الشارع يجد من يستوقفه ليسأله

فيخرج من قضية إلى أخرى ومن ثلة شباب إلى ثلة ثانية

(وكان الإنسان أكثر شيء جدلا)[1]

(ماضل قوم بعد إذ هداهم الله اوتو الجدل وحرموا العمل)[2]

حتى ضقت ذرعا بكثرة الاسئلة وشدة الخلاف وعنف الجدل وتعدد وجهات النظر ومافيها من شطحات العقول ، والنظر إلى التفاهات والسفاسف بمناظير سوداء مكبرة تجعل من الحبة قبة ، وكان الله فى عون العمال بعقولهم على وجع الدماغ المستمر فى كل كبيرة وصغيرة

وفى الأمس القريب قدمت مجلسا موضوعه عذاب القبر ، وهذه عينة أخرى اعرضها على القراء إن شاء الله . ولدى منها مزيد تمثل فى هذا الكتاب .

(١) سورة الكهف آية ٥٤

(٢) الجامع الصغير للسيوطى ص ٢٨٣

الصدفة

واول هذه المسائل : هل خلقت الدنيا صدفة ؟ الجواب والله الموفق للصواب ، إن من يزعم هذا الزعم فى الكون الكبير والدنيا الواسعة يضطر لرفضه فى الأشياء الهامة اللازمة لحياته .

هل يرضى ان يتنفس صدفة ... معنى ذلك الموت
هل يرضى ان ينبض قلبه صدفة ... معنى ذلك الموت
ودقات او نبضات او خفقات قلبه من سبعين إلى ثمانين نبضة فى الدقيقة الواحدة لايسرع فمعنى العجلة المرض ولايفتر ففى الريث الضعف والمولعون بالعد والاحصاء يحسبون النبضات طول العمر فيكون الناتج رقما كبيرا يدل على اعجاز الصانع وقدرة الخالق .

﴿ الذى أحسن كل شىء خلقه ﴾[1]

---

(١) سورة السجدة آية ٧

او ترى عيناه صدفة ... معنى ذلك البصر عدة ثوان ثم العمى عدة أعوام ،

أو تسمع أذناه صدفة ... معنى ذلك الصمم

أو تتحرك أعضاؤه صدفة ... معنى ذلك الشلل

ثم تراه يأكل عدة وجبات فى اليوم فهل يذهب إلى الصدفة لإحضار الخبز ... وهل تسعفه عند كل طلب فتلبى حاجة بطنه فى الوقت والساعة دون تأخير أو إبطاء إلى الطعام والشراب ولو اشار عليه أحد وقال له اذهب إلى الصدفة لاحضار الخبز لعد هذا المشير مجنونا فتراه يذهب حتما إلى الخباز ولايقول بالصدفة فى إحضار رغيف العيش وإلا فعليه العوض فى روحه وقد جعل الله حاجته إلى الماء دائمة تتكرر كل يوم ﴿ **وجعلنا من الماء كل شيء حى** ﴾[1]

فهل يذهب إلى الصدفة لإحضار الماء فتأتى مرة أو أكثر ثم تتخلف ألوف المرات .

انه لايعرف هزلا فى أمر يتعلق بحياته او موته يسمى الصدفة بل يذهب حتما إلى الساقى ، هل تستطيع الصدفة ان تخلق شربة ماء او كوب لبن او سنبلة قمح او رغيف خبز او صحن أرز او عنقود عنب أو سباطة بلح او قفص برتقال

---

(١) سورة الانبياء آية ٣٠

او مضغة لحم او قطعة جبن او نواة صغيرة تحمل سر الشجرة الكبيرة وجوهر خلود النوع .

فإذا أراد ان يذهب إلى عمله ... هل يرضى أن يقوم القطار او تتحرك الحافلة بالصدفة فيذهب إلى عمله يوما ... ثم ينقطع ... أعواما وهل يقبل منه رؤساؤه العذر بالصدفة فإذا وصلنا إلى أخذ الأجر على العمل فهل يرضى العامل ان يقول له الصراف ان الاموال تأتى من المصرف إلى الخزينة صدفة فاصبر أعواما حتى تأتى

ولو كان مريضا أراد العلاج هل يرضى ان تكون المستشفى بأطبائها وممرضيها وأجهزتها وأسرتها وادويتها صدفة ، معنى ذلك ان مريضا واحدا هو الذى يعالج والموت الزؤام للباقين

لايرضى خالق ولامخلوق ولا عامل ولاصاحب عمل عن جعل الصدفة اساس النظام فى الكون فإن معناها ان لايكون هناك اساس ولانظام ولاكون وهذا قانون الصدفة أنقله إلى القراء ليحيى من حى عن بينة ويهلك من هلك [بالعقيدة الباطلة] عن بينة .

فالقول بالصدفة انكار لوجود الخالق وهو كفر بين من الملل والنحل القديمة وليس من مستحدثات المذاهب فى العصر

الحاضر ولاأدرى من الذى يعيد شغل العقول بهذه النحلة التى نبت فسادها وعفى على بطلانها الزمن

(أحضر عشر بنسات مرقمة من ١ إلى ١٠ وهزها هزا شديدا ثم حاول ان تسحبها حسب ترتيبها

تجد ان فرصة سحب البنس رقم ١ بنسبة ١ إلى ١٠

ثم تجد ان فرصة سحب البنس رقم ٢ بنسبة ٢ إلى ١٠٠

ثم تجد ان فرصة سحب البنس رقم ٣ بنسبة ٣ إلى ١٠٠٠

ثم نجد ان فرصة سحب البنس رقم ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، بنسبة ٤ إلى ١٠٠٠٠[١]

وهكذا نجد إن فرصة سحب البنسات بترتيبها الأول من ١ إلى ١٠ هى بنسبة ١ إلى ١٠/ ملايين

(والغرض من هذا المثل البسيط هو أن نبين كيف تتكاثر الاعداد بشكل هائل ضد المصادفة)

ويمكن ان نغير البنس بقرش او درهم او دينار او فلس ليكون التعريب كامل المعانى والألفاظ فإذا تطلع الانسان إلى

---

(١) العلم يدعو للايمان تأليف أ كريس موريسون رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك ترجمة محمود صالح الفلكى ص ٤٩ وهو موجود أيضا فى كتاب الدين والعلم تأليف المشير احمد عزت بالتركية وقد عرب ثلثه ثم أكمل الباقى حمزة طاهر وصححه وراجعه د . عبد الوهاب عزام صـ ٢٥

السماء وجد الشمس تشرق وتغيب فى وقت معلوم لاتتقدم ولاتتأخر ولاتتخلف عن عملها منذ سخرها الله فى خدمة الانسان

﴿ لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ﴾(١).

﴿ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ﴾(٢)

فكلمنا التسخير والدأب تنافيان الصدفة

وينزل المطر من السحاب المسير بين السماء والأرض

﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض وانا على ذهاب به لقادرون ، فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون ﴾(٣)

ويخرج النبات ويولد الحيوان ثم ينمو ويتكاثر بصفة مطردة لامحل فيها للصدفة إطلاقا

﴿ الله يعلم ماتحمل كل أنثى وماتفيض الارحام وماتزداد وكل شيء عنده بمقدار ﴾(٤)

---

(١) سورة يس آية ٤٠
(٢) سورة ابراهيم آية ٣٣
(٣) سورة المؤمنون آية ١٨
(٤) سورة الرعد آية ٨

وكل هذا يدل على العقل والحكمة والتدبير والارادة والقدرة

﴿ وإن من شيء الا عندنا خزائنه وماننزله الا بقدر معلوم ﴾ [1]

وينفى الصدفة تماما لان حياة الانسان على ظهر الارض مترتبة على هذه الصفات ولو وكل امره الى الصدفة لحظة واحدة لما بقى يجادل فى نفى الصانع كما سبق القول بالدليل العقلى والفعلى

فكيف يزعم زاعم ثم يصدقه غيره حتى تسرى هذه المزاعم وينتشر هذا المنطق الغريب العجيب بين العقول فى العالم .

ويصل أخيرا إلى الشباب المسلم
ثم يحتاج الأمر إلى كل هذا المجهود فى الاقناع لافى حل ألفاظ ابى شجاع ولكن فى نقض ودحض مذهب الصدفة .

---

(١) سورة الحجر آية ٢١

رفض الوظائف

وثانى هذه الاسئلة عن رفض بعض الشباب العمل الشريف عند الحكومة فيتركون وظائفهم العالية ومناصبهم المهمة وفيهم نوابع تكرر تفوقهم فى مراحل الدراسة وتخرجهم من الأوائل ثم ذهابهم إلى البعثات وعملهم بعد ذلك اساتذة فى الجامعات

ويقولون تعليلا لهذا الرفض إن المرتبات التى تعطيها الدولة لموظفيها حرام ويفضلون الاعمال الحرة عليها مثل الصياد فى البحر والفلاح فى الحقل . والفران فى المخبز . والتاجر فى السوق . والطبيب فى العيادة او المستشفى والمحامى فى المكتب . والحطاب فى الغابة ، والبناء والمبيض والمبلط والسباك فى العمارة والحلاج فى المحلج والغزال والنساج والصباغ فى المغازل والمناسج والمصابغ .

والاعمال الحرة ضرورية للمجتمع ومكملة لبعضها
الناس للناس من بدو وحاضرة .
بعض لبعض وإن لم يشعروا حذم

لاعيب فيها ولاغبار عليها فيها وفى غيرها ورد الحديثان التاليان : عن المقداد بن معد يكرب ان رسول الله ﷺ قال : (ماأكل أحد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده) [١]

وعن ابى عبدالله بن الزبير بن العوام قال قال رسول الله ﷺ (لأن يأخذ أحدكم حبله على ظهره فيأتى بحزمة من الحطب فيبيعها خير له من ان يسأل الناس اعطوه او منعوه) [٢]

وأحب ان أقرر حريته الشخصية فى الاستقالة من عمله والاشتغال بأى عمل آخر يعجبه [مالم يكن حراما] وإن كان مخطئا فى اجتهاده ...

والصواب ان يتولى الأخيار الأعمال الهامة لئلا تقع غنيمة باردة فى يد الاشرار وتكون دولة بينهم والدعاء مشهور : اللهم ول امورنا خيارنا ولاتول أمورنا شرارنا :

---

(١) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووى حديث ٥٤٣ والترغيب والترهيب ٢/ ٣٥٩

(٢) الترغيب والترهيب ٢ / ٣٥٩ ورياض الصالحين حديث ٥٣٩

والأخيار حين يتركون الاعمال الهامة طواعية واختيارا فتقع فى يد الاشرار إنما يوسدون الأمور إلى غير أهلها فيظهر الفساد فى الأرض .

والقيمة عند الله ليست فى نوع العمل وإنما تكمن فى إخلاصه لله واتقانه للناس ومنفعة المسلمين فيه وفائدة المجتمع منه .

ويقول بعض الشباب الرافض للعمل فى الحكومة : إن بعض المصالح تعانى تضخما والأخرى تعانى فقرا فى العمالة . إن لم يستطع التحويل دون ضرر يقع عليه من الأولى إلى الثانية فهو معذور فى ترك العمل ويجب على الحكومة أن تعطيه خطاب شكر لأن قلبه عليها ... يريد ان يؤدى عملا ويحقق خدمة ولايحب ان يكون ضغثا على إبالة وثقلا على السفينة .

وقد اختار الشاب مهنة الصيد فهو يخرج بحمله من الاسماك فى الشباك ثم يبيعه فى شوارع المدينة او القرية . فهل هناك شرع او عرف او قانون يقضى بأن يطالب الزبون بإثبات حل امواله وحرمتها فيقول له : من اين لك هذا ؟ حتى يطمئن إلى أن مايأخذه ثمنا لسمكه حلال من اصل طاهر غير ملوث ....؟

لنفرض ان المشترى من اى تاجر او صانع او زارع كان محتكرا او غشاشا او مستغل نفوذ او تاجرا فى السوق السوداء او مرتشيا ..

او كان على غير ملة الاسلام من عباد البقر أو الشمس والقمر أو من أهل الكتاب المسالمين الذين اطلق عليهم أهل الذمة فهل يحرم على التاجر او الصانع او الزارع او العامل المسلم ان يتعامل معهم ...؟

الم يكن التعامل حرا بين الرسول وأتباعه المؤمنين من جهة وبين كفار مكة من جهة أخرى . وفى اموالهم شبهات كثيرة بل كان تحريم او تجريم التعامل من جهة ائمة الكفر بغيا وعدوانا وظلما وحصار اقتصاديا للمسلمين فى شعب بنى هاشم ثم علقت صحيفة المعاهدة فى جوف الكعبة وظلت المقاطعة سارية المفعول ثلاث سنين حتى قام فى نقضها خمسة من أصحاب المروءة والنجدة والشهامة العالية

اولهم زهير بن امية صاحب الفكرة فى فك الحصار ومعاونه المطعم بن عدى وهو الذى تولى تمزيق الصحيفة وكانت الأرضة قد سبقته اليها ولم يبق فيها الا اسم الله وهشام بن عمرو بن الحارث وأبو البخترى بن هشام وزمعة

من الاسود وهم على دين قومهم ... فحمد لهم هذا الصنيع أبد الدهر ...[1]

وهذه حادثة مشهورة ذكرتها جميع كتب السيرة قديمها وحديثها . ثم تذكر ان سبب غزوة بنى قينقاع وجود امرأة مسلمة فى سوقهم تعرض حليها للبيع عند صاغة اليهود[2] ...

فعقدوا ثوبها وراء ظهرها ... بغيا وعدوانا وسخرية واستهزاء وهى لاتدرى فلما قامت انكشف المستور المخبوء من جسدها فاستغاثت على الفور فقتل رجل مسلم الصائغ اليهودى صاحب الفعلة النكراء وتظاهر صاغة اليهود ضد المسلم فقتلوه وكان هذا هو السبب المباشر للحرب التى انتهت بهزيمة اليهود ثم نفيهم إلى اذرعات بالشام والشاهد ان بيع المرأة المسلمة لحليها عند صائغ يهودى جائز [وفى اموالهم شبهات كثيرة] ..

وأول هذه الشبهات ماظلوا عاكفين عليه حتى الآن من الاقراض بربا فرادى ومجتمعين فى المصارف وأباح عمر وهو خليفة لحسان بن ثابت شاعر الرسول أن يأخذ جائزة

---

(١) فقه السيرة ص ٩٥ محمد سعيد رمضان

(٢) فقه السيرة للغزالى ص ١٨٥

النصرانى المرتد جبلة ابن الأيهم خمسمائة دينار قدمها إليه بنفسه بعد ان استدعاه وكان قد كف بصره قائلا له قد نزع الله تبارك وتعالى لك منه على رغم أنفه وأتاك بمعونة[1] .

وقال عبد الله بن مسعود لرحل سأله عن جار مرابى لايجتنب فى مكسبه الحرام ويدعوه إلى الطعام فأجيبه قال نعم لك المهنأ وعليه المأثم مالم تعلم الشىء بعينه حراما[2] . والآية مشهورة

﴿ وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتو الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولامتخذى أخدان ﴾ [3]

فإذا كان طعام اهل الكتاب وزواج نسائهم مباحا أفلا يباح بيعهم وشراؤهم وبالتالى ألا يباج العمل عندهم وأخذ الأجر منهم ثم من المسلم العاصى الذى تدخل ماله الشبهات ومن التابعين من كان مؤدبا لأولاد السلاطين اى مدرسا خاص للأمراء فى القصور الملكية بعد أن تحولت الخلافة الراشدة إلى ملك عضوض فى عهد الاموين بنى على اغتصاب الخلافة

---

(١) شرح ديوان حسان بن ثابت عبد الرحمن البرقوقى ص ٣٩١

(٢) التصوف الاسلامى د زكى مبارك ٢ / ١٨٨

(٣) سورة المائدة آية ٥

والسلطة من مستحقيها بالإكراه على البيعة والحرب فى سبيل السلطة وقتل من أبى الولاء ونوى العصيان ورفض البيعة وحشوا من تأثر الناس بموقفه وتأسيهم به ...

هناك احتياط فى الاعمال المحرمة سواء كانت عند الحكومة او عند الأهالى .... فى القطاع العام او الخاص ... عند الموظفين او الأجانب ... داخل البلد أو خارجه ...

مثل عصر الخمور وتقطيرها وتقديمها للناس فقد لعن رسول الله فى الخمر عشرة[1]

عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشترى لها والمشتراة له لافرق فى اللعن والتحريم بين القليل والكثير ولابين اختلاف المواد الخام التى تصنع منها

ومثلها المخدرات لأنها تغيب العقل وتضر الجسم وتضيع المال ومثلها تجارة النخاسين فى الرقيق الابيض والاسود بخطف الأحرار والحرائر ومايسمى بعلب الليل ودور الملاهى ففيها اكتسابه الرزق من التجارة فى الاعراض واستخدام البغايا والرقص المثير والتمثيل الخليع وشرب الخمور ولعب الميسر . .

---

(١) الترغيب والترهيب ٣ / ١٩٦

ومثل تزييف العملة وتزوير الاوراق والوثائق والاختام ، وتربية الخنازير وذبحها وتعليب لحمها ثم بيعه فى المحلات بعد استيراده

(لعن رسول الله آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء)[1]

وهناك احتياط آخر معروف لكل ذى عقل سليم عمل المسلم عند حكومات كافرة محاربة للمسلمين فى اعمال تضر بالمسلمين فى الحرب وتؤدى إلى هزيمتهم مثل التجسس لمصلحة العدو والعمل فى مصانع الاسلحة والذخائر وقطع الغيار وبناء القواعد والصواريخ والمطارات الخ

وكانت هذه مشكلة الملايين فى مصر وغيرها من كل بلد مسلم تحتله حكومة كافرة ... ومعظم البلاد الاسلامية وقعت تحت نير الاحتلال الانجليزى والفرنسى ...

عمل الوف العمال فى جيوش الحلفاء فى الحربين العالميتين الأولى والثانية وهى جيوش كافرة تخوض فيما بينها حروبا لاناقة للمسلمين فيها ولاجمل بل كانت تقاتل الهلال تحت راية الصليب ... حاربت الدول المسلمة - المستقرة - تركيا وهى مسلمة مثلها انتصارا للدول

---

(١) الترغيب والترهيب ٣ / ٤

المستعمرة ... وكان لهؤلاء العمال فى مصر وقفة مشهورة فى التاريخ الوطنى ... تركوا أعمالهم فى الجيش البريطانى واحتضنتهم الحكومات الوطنية والتزمت بتشغيلهم عندها تعويضا لهم عن اعمالهم التى تركوها ... هذه الشبهة المذكورة قبل الادلة تغلق مجال النشاط الحيوى والتعاون المثمر فى الداخل والخارج بين الافراد والشركات والحكومات... بين المسلمين وغيرهم مارأى الشباب الرافض للعمل فى يوسف الرسول الذى طلب العمل فى حكومة الفرعون لإنقاذ البلاد والعباد من المجاعة بحسن تدبيره وإخلاصه وامانته ، ولم يكن هناك من يسد مسده ويقوم مقامه فى الأزمة الطاحنة والمجاعة الرهيبة التى سيتعرض لها شعب مصر وجيرانه من شعوب الشرق الاوسط فرشح نفسه للعمل المهم ﴿ **قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم** ﴾[1]

فأجيب إلى طلبه وعمل عند الفرعون وزيرا فى حكومة كافره مائة فى المائه وتقاضى مرتب الوزير طبعا من عباد الاصنام واعتبر هذا العمل نعمة من الله على عبده ورسوله يوسف ﴿ **وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولاتضيع أجر المحسنين** ﴾[1]

---

(١) سورة يوسف آية ٥٦

(١) سورة يوسف آية ٥٦

مارأى الشباب الرافض فى ألوف من أمثاله يعملون عند الحكومات الكافرة لسابع جد او لألف جد ذات نسب فى الكفر عريق

وهذا ماسمى بهجرة العقول ولايعودون إلى بلادهم أبدا ومع ذلك لم نسمع انهم اثاروا المشكلة على هذه الصورة مع أنها كانت أولى بالإثارة

وعلى أى حال فقد وقع الشاب فى نفس الورطة التى هرب منها بالعمل الحر ووجد فى كل خربة عفريتا وإن تنقل فى عشرات الأعمال فسيصادفه نفس السؤال فى كل عمل ولن يستطيع الاجابة عليه وإن استطاعها فى زبون واحد فلن يقدر عليها فى كل زبون .

والشبهة التى تأتى فى مال الدولة [لأنها صاحبة العمل الوحيدة فى الدول الاشتراكية] ويعمل عندها الملايين لأن بعض إيراداتها حرام كالربا فى المصارف والضرائب على الخمارات وموائد الميسر ودور الملاهى وعلب الليل ونحو ذلك مما ينبغى التخلص منه والمطالبة بإلغائه وتعويض النقص فى الميزانية – من مورد حلال وماأكثر هذه الموارد

﴿ ولو أن اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ﴾(١)

---

(١) سورة الاعراف آية ٩٦

﴿ فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ﴾ (١)

وليس معنى هذا الانقطاع للعبادة والاستغفار وانما معناها التنقيب والبحث عما فى باطن الأرض من معادن وكنوز واستصلاح الاراضى البور مع أداء حق الرزاق الوهاب

وإلى أن تأتى التصفية للموارد من الحرام فالباقى من حلال ومايدرى هذا الشاب وأمثاله ان مرتبه من حرام والمال شائع مختلط

وهناك الكثير من المسائل الحكم فيها للأغلبية وهذا وارد فى القرآن الكريم

﴿ فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية واما من خفت موازينه فأمه هاوية وماادراك ماهيه نار حامية ﴾(٢)

فالمصير إلى الجنة مرتبط بكثرة الحسنات والمصير إلى النار مرتبط بكثرة السيآت

﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾(٣)

---

(١) سورة نوح آيات ١٠ – ١٢

(٢) سورة القارعة آيات ٦ – ١١ ، المؤمنون / ١٠٣

(٣) سورة البقرة ٢١٩

حرمت الخمر والميسر نتيجة لغلبة الاضرار على المنافع والآثام على المصالح

وفي الحديث ان رسول الله ﷺ سأل أصحابه يوما فقال (اتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولامتاع قال المفلس من امتى يوم القيامة من يأتى بصلاة وزكاة وصوم ويأتى وقد شتم هذا وضرب هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم ذاك فيعطى هذا فى حسناته وهذا من حسناته فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم ألقى فى النار)(٢)

فالطرح فى النار كان نتيجة لكثرة السيآت على الحسنات وفى غزوة أحد استشار الرسول اصحابه فى لقاء العدو ايكون داخل المدينة [وهو على هذا الرأى] أم خارجها فرغبت الاكثرية فى ذلك وفيهم عدد كبير من الشباب الراغب فى التضحية استدراكا لما فاتهم فى بدر فليس رسول الله السلاح نزولا على رأى الأغلبية فلما أحسوا انهم استكرهوه جنحوا إلى رأيه فرفض العودة ثانية

---

(٢) الترغيب والترهيب ٢ / ٨٤ ورياض الصالحين للنووى حديث ٢٢٠ وخلق المسلم للغزالى ص ١١

وفى الفقه مسألة الماء الكثير الذى خالطته نجاسة لم تغير أحد اوصافه الثلاثة : اللون أو الطعم أو الرائحة : فهو طاهر تبعا للأغلبية

كيف يمكن التمييز بين الحلال الذى يؤخذ والحرام الذى يترك بعد هذا الامتزاج

فالأغلبية أو الأكثرية من أسباب الترجيح بين الحلال والحرام كما سبق بأدلة من صميم القرآن ولباب السنة

الزهـــد

ومشاكل هذا الشاب وامثاله مستمرة إذا تركها فى موضوع الرزق فسرعان مايجدها فى موضوع آخر داخل البيت أو قل انه يصنعها بعقله . فتراه يبيع أثاث بيته وفراش زوجته الذى جرى عرف متوسطى الحال على استعماله

ثم ينام مع أسرته على الأرض وهم متضجرون به وهو متضجر بهم وليته يكتفى بذلك وانما يصبح نباتيا مثل ابى العلاء المعرى يجتزىء بلقيمات يقمن صلبه ويرفض اللحم حتى يصبح جلدا على عظم ...

هذا نوع من الفلو فى الدين يعتمد على أحاديث الزهد وهو باب[1] فى كتب الحديث ملىء بالاحاديث الصحيحة [والحق يقال] تحت عناوين مثل الزهد فى الدنيا ، الجوع

(١) رياض الصالحين للنووى ص ١٠٤ – ١١٨

وخشونة العيش ، القناعة والعفاف ، الاقتصاد فى المعيشة وأمثال هذه المعانى تستغرق قدرا عظيما فى كتب الحديث يجده القارىء العجول والناظر الفقيه

وفى الوجه الآخر نجد التفنن فى اللذة والاغراق فى النعيم ينفق المترف فى هذا السبيل ماتصطك له اسماع الفقراء وتقشعر لفخامته وبشاعته جلود البؤساء فهو يطأ بقدميه ألوف الجنيهات أو الدنانير التى اشتريت بها اليسط العجمية الفاخرة والزرابى المبتوتة ويمنع ناظريه بالثريات الكهربائية المدلاة من سقوف الحجرات وبالستائر واللوحات والصور المعلقة فوق الجدران وبالذخائر والطرائف والنقائس والتحف تطل من كل مكان فى الشقة أو فى القصر ، وبالأثاث المصنوع على أحدث طراز والموضوع فى كل غرفة ..

وبالآلات الكهربائية المساعدة لست البيت فى المطبخ والمغسل والحمام والمستخدمة فى التسلية والترويح عن النفس ، وبالسيارات المجنحة الواقفة فى حظائرها تحت الطلب لتجرى به وبأولاده وزوجته إلى اى مكان قريب او بعيد فهى تطوى له المسافات طيا وتسابق الرياح وتحمل أثقاله وهو ناعم قرير العين يسمع أحلى الأغانى المذاعة على الهواء مباشرة أو المسجلة لتعود من جديد حسب الرغبة ، وهناك سيارات مزودة بالهاتف اللاسلكى لاستخدامه عند الضرورة

وسيارات ذات مقطورات فيها اسرة النوم وغرف المعيشة وأوانى الطبيخ فهى بيت صغير متحرك ... وقد يكون لكل فرد فى الاسرة سيارة على هواه نعيم واى نعيم ماكان يحلم بمثله فرعون وهامان . وقيصر الرومان وكسرى أنوشروان وهارون الرشيد وشارلمان ... والخافان جنكيزخان ...

ويأبى المترف من هؤلاء أن يسعف أى مسكين بملء الخميص وستر القميص وبر الضنا أو بأى حاجة ضرورية لاتنقص من نعيمه .. مثقال ذرة ولاتكلفه الا تراب الفلوس وفتات العز والجاه شكرا لنعمة المنعم وفضل الوهاب .

الحق ان البخيل المانع لزكاة ماله يستحق قطع الرقبة وليس هذا حكمى وانما هو حكم الخليفة الراشد الأول ابى بكر الصديق وظاهره على هذا الحكم جمهور الصحابة الذين كانوا جنودا وضباطا يحملون السيوف والقسى والرماح والسهام والنبال لقطع رقاب مانعى الزكاة جحودا لوجوبها .

ومأأكثر الذين يقولون فى العصر الحديث انها نظام رجعى عتيق لاتصلح للتطبيق فى زمن النور والحرية ... والغريب أن آيات ذم الترف لاتخطر للبخيل على بال ليس عنده إلا ﴿ **قل من حرم زينة الله أخرج لعباده والطيبات من الرزق** ﴾[1]

﴿ **يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾[2]

---

(١) سورة الاعراف آية ٣٢

(٢) سورة الاعراف آية ٣١

وهنا تأتى مشكلة القول الصحيح مع الفهم القبيح فيتمسك بالنصوص التى تعجبه وتوافق هواه ويعرض عن الأخرى التى تقبح فعله

والمخرج من هذه الأطراف المتعارضة والاحوال المتناقضة هو المتوسط فلا يكون المسلم نباتيا زاهدا رافضا للحم حتى يصير جلدا على عظم دون ضرورة ملحة ولاحاجة قاهرة .

كما يحدث فى المجاعات والأوبئة والحروب والنكبات والمحن ومن ذلك مافعلته قريش مع المسلمين الأوائل فى الحصار الاقتصادى الذى فرضته عليهم فى شعب بنى هاشم بمكة حتى اضطروا إلى أكل ورق الشجر أحبت ان تعيدهم إلى دينها بسلاح التجويع الرهيب وظلوا فى هذه المحنة ثلاث سنين حتى أذن الله بالفرج على يد بعض أهل الرحمة والنجدة والنخوة فتعاهدوا على تمزيق صحيفة المقاطعة الظالمة المعلقة فى جوف الكعبة ولكنهم وجدوا الأرضة قد سبقتهم إليها ولم يبق فيها الا اسم الله

وتعرض سكان جزيرة العرب فى عهد الخليفة الراشد الثانى عمر بن الخطاب للمجاعة حتى سمى عام الرمادة ، وحرم الخليفة السمن واللحم على نفسه تسوية لها بالرعية

حتى يهتم أشد الاهتمام بفقراء المسلمين فشحب لونه وخاف المسلمون على حياته . ولايكون كل هم المسلم الزينة والزخرف والنعيم والمتاع والفخر بكثرة الأثاث والفراش والرياش والنياب والأموال وبالتوسط بين الفريقين من القلاة جاءت الآيات

﴿ ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولاتبسطها كل البسط فتعقد ملوما محسورا ﴾(١)

﴿ والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ (٢)

---

(١) سورة الاسراء آية ٢٦

(٢) سورة الفرقان آية ٦٧

مشاهدة التليفزيون

أما السؤال الرابع فكان عن مشاهدة التلفزيون احلال هى أم حرام

والجواب أن جميع الآلات والمخترعات سلاح ذو حدين يستطيع الانسان أن يستخدمه فى الخير وأن يستعمله فى الشر أيضا

فمن تسخيره فى الخير أنه يشرح مناسك الحج ويريها أولا بأول ولحظة بعد لحظة للمشاهدين ... وينقل تفسير القرآن الكريم وتعليم الصلاة ويحض على اطعام المسكين بإيتاء الزكاة ودفع الصدقات ويجيب على الاسئلة لرفع الحيرة والضلال عن الحائرين ويسير بالمشاهد فى أرجاء الارض ليجعله من السائحين وهو جالس فى مكانه ... يصعد إلى قمم الجبال العالية ويسمو إلى أجواز الفضاء ويغوص به فى اعماق الماء ويجوس به بين الوحوش المفترسة فى الغابات والثعابين والحيات والعقارب وينقل الأخبار المحلية والعالمية ويساعد الطلاب على استذكار المقررات فى الكتب الدراسية ويبسط

كثيرا من العلوم فى كثير من المجالات وللمشاهدين فيه منافع أخرى

وفيه بجانب ذلك اللهو والخلاعة والمجون. الاغانى البذيئة والرقصات الفاجرة والاشارات الماجنة والمسرحيات الهابطة والمسلسلات التافهة فالاثم على واضعى هذه البرامج المحشوة بهذه المناظر . ثم على المراقبين الذين يسمحون بنشرها بين الناس ثم على المشاهدين الذين لايعرضون عنها بإغلاق التليفزيون فى البرامج الهابطة وهذا أضعف الايمان

﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ﴾[1]

﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكن أعمالكم سلام عليكم لانبتغى الجاهلين ﴾[2]

ومن الممكن المطالبة المستمرة بخطة عمل اعلامية موافقة للشريعة وللأخلاق الفاضلة

ومامات حق وراءه مطالب وخصوصا إذا ايده غيره فى المطالبة ولم يذهب كلامه صيحة فى واد ونفخة فى رماد .

ومعظم النار من مستصغر الشرر .

وكل دعوة تبدأ بواحد .... بل إن أصل العالم كله نفس واحدة ..

---

(١) سورة الانعام آية ٦٨

(٢) سورة القصص آية ٥٥

فوضى التكفير

اما السؤال الخامس فكان عن فوضى التكفير والبلوى اللازمة بعد ذلك هى قتل المرتد

فيلتقى المسلمان بسيفيهما ليكونا من أصحاب النار لأن النية وسبق الاصرار يدفع كل واحد منهما إلى قتل أخيه ثم تكون النتيجة تفرق الأمة الواحدة إلى أحزاب متعادية وطوائف متصارعة وجماعات متقاتلة بينها ماصنع الحداد .

وقديما انتشر التلاعن والتكفير عندما حدث الخلاف على قراءة القرآن قبل ان يجمع عثمان الناس على قراءة واحدة ثم ماتت الفتنة فى مهدها ... بعد توحيد القراءة .

ثم زعمت فرقة من اصحاب الملل والنحل أن مرتكب الكبيرة كافر فإذا حدث أى نزاع كان من اسهل التهم القذف بكلمة الكفر فى وجه الخصم بحيث أصبح الأمر فوضى يتكلم

فيه الجاهل قبل العالم والحدث الفر قبل المجرب والسفيه قبل العاقل الحكيم .

وياليتهم يكتفون بالكلام وإنما يحاولون فرض وجهة نظرهم على غيرهم .

وهل يسلم أحد من ارتكاب بعض الكبائر فى حياته (**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**) (١)

ولو قيس الناس بهذا المقياس لما كان هناك إسلام على ظهر الأرض وماسلم لأحد ايمان لأنه لايخلو من المعصية إنسان وانطبقت عليهم الآية

﴿ **ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة** ﴾ (٢)

وقال ابو العلاء المعرى فى هذا المعنى

لو غربل الناس كما يعدموا سقطا

لما تحصل شىء فى الغرابيل

وهذه هى القضية

صاحب محل تعرض البيت الذى يؤجر فيه دكانه لتقسيم الورثة وسعيهم فى إزالة البيت حتى يأخذ كل وارث نصيبه

---

(١) الترغيب والترهيب ٤ / ٥٤

(٢) سورة فاطر آية ٤٥

من الارض ثم يقبض مايخصه من ثمن الأنقاض ليصبح حرا وحيدا او واحدا بعيدا عن الشركة ويبنى عليه بيتا مستقلا

والاتجاه إلى التوحيد بعدْ الشركة والوحدة بعد التعدد فطرة سامية فى نفس الإنسان تتجدد فى كل جيل ولم يخرج اصحاب المحلات فى الدور الأول قبل الهدم الا بعد وعود مؤكدة وأيمان غليظة بأن لكل واحد محلا وحقا معلوما فى العقار الجديد ولما تم الأمر كان كل هؤلاء فى الشارع ومنهم السائل افقرهم باشر المهنة على الرصيف

ثم كانت عقيدته ان من غدر به ولم يف بالوعد الذى قطعه على نفسه .... كافر . ولم يتنازل عن ذلك أبدا وأراد منى وهو السائل وأنا المجيب أن أؤمن على كل كلمة يقولها .

فذكرت له أن القاضى العادل لايسمع القضية من طرف واحد ولابد من اعلان الغائب المتهم أو المدعى عليه لأخذ اقواله وإباحة الفرصة أمامه حتى يدافع عن نفسه .

ولو سلمنا جدلا ان كلامك صحيح مائة فى المائة لكان الغادر الكاذب مسلما عاصيا ... لاكافرا ومادمت تسألنى عن رأيى فلا تكلفنى أن يكون تابعا لهواك ثم فاجأنى بدعوى أخرى وهى أنه قاتل والغريب فى الأمر سهولة القذف بأعظم التهم كأنها شىء بسيط

فقلت فى هذه التهمة أيضا نظر وهى محل تحقيق ويمكن تطبيق حالتك على الحديث المشهور

(عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت فلا هى أطعمتها ولاهى تركتها تأكل من حشاش الأرض)[1]

فلو كنت قد طردت من المحل ثم منعت من العمل فى اى مكان حتى مت جوعا لكان لأولادك حين يرفعون القضية وجه من الصواب ولكان عذاب الطارد الذى ضيق على المطرود الخناق كعذاب حابسة الهرة التى لم ترحمها ولم تترك رحمة الله تنزل عليها

ولكنك مرزوق ولو على الرصيف

وهذا ينفى تهمة القتل

على أن أعرض الحجة وأجيب على السؤال لئلا يكون فى صدر السائل حرج او يحتوى قلبه على مرض ... وعلى الله الاقناع والهداية وآيات قصر الهداية والاقناع على الله كثيرة فى القرآن الكريم بالنسبة للرسول الكريم وغيره ممن هو دونه أولى

---

(١) رياض الصالحين للنووى حديث ١٦٠١

الكشف عن الحديث

من العيوب الشائعة بين عامة الحاضرين والخطباء والوعاظ والمدرسين والمؤلفين التى ضاق بها صدر المرحوم الشيخ محمد ترشيد رضا وصدر غيره من العلماء والجهال .

وهم على حق فى هذا الضيق – وأنا معهم أنهم يذكرون الأحاديث النبوية الشريفة غير مخرجة وغير منسوبة إلى جامعيها من أصحاب الكتب الصحاح فقد انقطعت الرواية الشفوية فمن الذى يعى ذهنه سلسلة الاستاد فى الأحاديث التى يحفظها لأن تطاول الزمن وكثرة السنين ومر القرون يجعلها عبئا ثقيلا على امتداد أربعة عشر قرنا قابلة للزيادة بتجدد الحياة على ظهر الأرض وقد اجتهدت فى هذا الكتاب الا يكون باب النجار مخلوعا فيسأل المتكلم أو المصنف عن الحديث فى اى كتاب من كتب السنة وفى أى موضوع ؟ ومادرجته من الصحة ؟ ربما آثر المسئول أن يجيب بالظن إسراعا بالإجابة

فى التو واللحظة وفى سبيل السرعة لايبالى بالخطأ والصواب والظن واليقين والجهل والعلم دون ان يطلب مهلة من السائل يراجع فيها الأصول المعتمدة التى يغترف منها الاحاديث فيذكر أنه في البخارى وهو لايحتويه أو فى مسلم وهو لايعرفه أو فى الموطأ وهو بعيد عنه أو يدعى صحته وهو مروى فى الموضوعات ...

او يكون من اقوال الصحابة او من الحكم والامثال التى يعلم قائلها بعد البحث والتحرى أولا يعلم وكل هذا خشية من تهمة الجهل إذا طلب فرصة للمراجعة ومهلة للتأكد والتحقيق او انسياقا مع الغرور والمباهاة بالعلم فيورطه الظن فيما لاتحمد عقباه حين يكون السائل لحوحا لجوجا يطلب الكتاب والموضع ليرى بعينيه ويستوثق بنفسه وكثير من السائلين فى هذه المواضيع لايكتفون بمسئول واحد وإن كانت إجابته كافية شافية لايكفون عن سؤال الآخرين ويعارضون الاجابات ببعضها ويضربون المجيب الأول بالثانى ويتعجبون أشد العجب إذا وجدوا بين الاجابات خلافا او تناقضا ويتهكمون على المخطىء أشد التهكم .

كأن الأمر شرك منصوب وقع فيه المسئول والامانة فى النقل وصحة الاستدلال من أول الواجبات على المسئولين فى هذه المواضيع ليبرأوا إلى بالله من تهمة الكذب على رسوله

وليبذلوا جهدا جديرا بالعلم وبالاتقان فى أداء العمل فلا يأخذون الحديث عن كل من هب ودب دون التأكد من صحته ومن وجوده فى كتب الأصول المعتمدة فى هذا الفن وليس من المعقول ان يقرأ المسئول كتب الصحاح فى كل مرة ليكشف عن حديث وليس من طبعى أن أقوم بمهمة لاعن الظلام الذى يكتفى بالسب والعيب دون ان يوقد شمعة واحدة ولذلك فكرت فى الداء والدواء ليكون هذا البحث من النقد البناء .

وهناك أكثر من طريقة فى الكشف والمراجعة الأولى هى البحث عن الحديث فى مظانه حيث تندرج كل مجموعة من الأحاديث تحت موضوع واحد والأمثلة كثيرة : الاخلاص ، الوضوء ، التيمم ، الصلاة ، الزكاة ، الزواج ، الطلاق ، البيوع الخ وجميع الكتب تشتمل على هذا النوع من الفهارس وقد يجد الباحث بغيته أو لايجد لأن المؤلف لايذكر جميع الاحاديث الواردة فى الموضوع بل يكتفى ببعضها [والله اعلم بظروف التأليف فى حينها] أو لأن ظن المطلع غير وضع المؤلف فلا يجد المراد وقد تكون مشتملة على فقرات تدخل كل فقرة منها تحت موضوعين كالصدق فى البيع يندرج تحت الصدق وتحت البيع فيذكر فى احدهما ويترك فى الثانى أو لأن الاحاديث تذكر مقطعة

اما الطريقة الثانية فتعتمد على معرفة الكلمة الأولى فى الحديث بترتيب حروفها الأبجدية وبالنسبة لصحيحى مسلم والبخارى فهناك كتاب جيد فى هذا الموضوع اسمه مفتاح صحيح البخارى الفه الحافظ التركى محمد شريف ١٣١٢هـ وطبع فى تركيا فى السنة التالية وعين طبعة البخارى ١٢٩٦ هـ بمصر وشرح القسطلانى عليه ١٢٩٣ هـ وشرح العسقلانى ١٣٠١هـ وشرح العينى المطبوع فى تركيا ١٣٠٩ هـ

ورقم أبواب الكتاب وذكر أسماءها فأصبح من السهل معرفة الحديث فى البخارى وشروحه فى الطبعات المذكورة بالصفحة والجزء والباب واسم البحث .

وكذلك فعل فى صحيح مسلم وشرح النووى عليه ١٢٩٠ هـ وهناك كتاب آخر هو هداية البارى إلى ترتيب أحاديث البخارى تأليف عبد الرحمن عنبر المصرى الطهطاوى رتب فيه الاحاديث على الحروف وساق نص كل حديث مع شرح موجز فى هامش كل صفحة وذكر الراوى والكتاب والباب مقتفيا أثر التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح وحذف السند والمكرر وقد فرغ منه سنة ١٣١٧هـ اما طبعته الثانية فكانت سنة ١٣٤٠هـ وهناك كتاب ثالث هو مفتاح الصحيحين تأليف محمد صادق اسماعيل ، محمد

حسين العقبى ، زكريا على يوسف ، مرتب على الحروف ولكن الترتيب على أشهر كلمة وكذلك فعل الاستاذ : محمد فؤاد عبد الباقى : رحمه الله جعل الجزء الخامس فى إحدى طبعات مسلم مفتاحا خاصا بالفهارس ورتبه على حروف المعجم

وقد طبع كل من البخارى ومسلم طبعات شعبية واسعة النطاق فحبذا لو أضيف إلى كل طبعة مستقبلة بعض المفاتيح المذكورة لتتم فائدة السواد من الناس وعامة المشتغلين بالعلم الذين يحول بينهم الفقر وبين شراء طبعات غالية مخدومة محققة غنية بالفهارس مزودة بالمفاتيح فكم تساوى هذه الطبعة حتى بأسعار الأيام الخالية أو الماضية .

ماأثقل المبلغ الذى يطلب دفعة مرة واحدة قبل شراء كتاب ضخم الحجم كثير الأجزاء على عالم موظف او عامل متدين او فلاح هاو لكتب العلم .

والجميع من محدودى الدخل اما الطبعة الشعبية فهى فى متناول أيديهم وخصوصا حين تتم على شكل ملازم يجمعها القارىء ثم يجلدها فى النهاية بعد تمام الكتاب على حسابه وقد حدث ذلك فى كثير من اجزاء الكتب مثل
صحاح : البخارى ومسلم والموطأ .
وتفاسير : القرطبى والسيوطى وابن كثير

وتواريخ : سيرة ابن هشام ومروج الذهب ومقدمة ابن خلدون والجبرتى وابن اياس

وقواميس : لسان العرب واساس البلاغة

ومن الممكن العمل بنظام التقسيط المتبع بعد ضمان المصلحة التى يتبعها العامل أو الموظف كما يحدث فى : القماش والثلاجات والغسالات والسخانات والخلاطات والمسجلات والمواقد والمراوح والمدافىء ولو أراد أحد المشتغلين بالعلم أن يلبس ثوبا من القطن بدلا من الصوف واقتصد الفرق لشراء طبعة مخدومة محققة من كتاب يحتاج إليه لضاقت به الصدور وطالت عليه الألسنة لأن المجتمع يفرض عليه نوعا من الجبر فى الملابس ولايبالى بحرية اختيار ولابطاقة لابس وإن لم ينزل بهذه العادات والتقاليد سلطان من الله ولاكتاب منير . فهم يريدونه كامل المعانى والاوصاف والمظاهر كأنهم يرشحونه للعمل عارض أزياء . دون ان يتبصر فى موارده المالية . وهل يسمح رزقه بملابس الشهرة والفخر والزينة ؟ ولايبالون باحترامه وحسن تقديره لأموره الشخصية على الأقل ... قال الزهاوى

من اين للعلم أردان مزخرفة من اين للعلم أطواق من الذهب

وليس من الكثير على همة الطالب النشيط الدءوب الذى يطلب العلم من المهد إلى اللحد برغبة صادقة وعزم مؤكد

وزهد مطلق أن ينسخ الكتاب أو المفتاح أو الفهرس بخطه بعد استعارة داخلية أو خارجية من احدى دور الكتب .

ولن يضيع الله كده فى طلب العلم هدرا فقد قال ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع أجر من أحسن عملا** ﴾

والتفانى فى طلب العلم على هذه الصورة من الأعمال الصالحة طبعا وقطعا ..... ضاربا عرض الحائط بمعانى اليأس البادية فى أقوال الشعراء .

تأتى المقيم وماسعى حاجاته
عدد الحصى ويخيب سعى الساعى
والعيش فى ظلال النوك خير ممن عاش كدا
قد يقتر الحول التقى ويكثر الحمق الأثيم
يملى لذاك .ويبتلى هذا فأيهما المضيم

أما جمهور الطلاب فهدفهم الأول والأخير ... الامتحانات تليها الشهادات تعقبها الوظائف والمرتبات والدرجات والعلاوات والمكافآت .

وعروج سلم الترقى والسيادة

---

(١) سورة الكهف آية ٢٠

فإذا نال الطالب الراجى بغيته من أكل العيش فى وظيفة وصار من تنابلة السلطان الذين يتمرغون فى تراب الأميرى ... أو من أرامل الحكومة او من صعاليك الصحافة او من جوقة الاعلام ... هجر الكتب وطلق العلم طلاق بنات ورمى نفسه على أى عمل ليس فيه علم او فن بالمرة يؤديه اقل كاتب فى اصغر ديوان يتمرن عليه بالتكرار الذى يعلم حتى .... الحمار ، بل انه لايبالى أن يكون عاطلا فى شكل عامل ساكنا فى صفة متحرك ... حسن المظهر والمنظر والمرتب ، هذه معانى تتصل بالموضوع خطرت على البال

فالحديث ذو شجون

وللسيوطى كتاب الجامع الكبير حشد فيه ماثة ألف حديث جعلها على قسمين الأقوال رتبها بحسب أوائلها على حروف المعجم . ومن أول كلمة فى الحديث يعرف نصه وفى أى كتاب يوجد . ومن هو راويه من الصحابة ودرجته من الصحة . تقل فيه عن ثلاثة وعشرين كتابا ... اما القسم الثانى فقد جعله للافعال وزتبه على طريقة المسانيد . وهو على حسب الرواة من الصحابة وشرع مجمع البحوث الاسلامية فى طبع الكتاب ونشره لأول مرة بعد أن ظل مخطوطا ستة قرون ... ولم يكمل إلى الآن وقد اعاد ترتيب الجامع الكبير أو جمع الجوامع على المعانى والموضوعات وأبواب الفقه

الشيخ : علاء الدين فى كتاب سماه كنز العمال طبع فى مصر على هامش مسند الامام احمد بن حنبل وطبعته دائرة المعارف النظامية
بحيدر أباد بالهند سنة ١٣١٢ هـ

ثم اختصر السيوطى جامعه الكبير في كتابه الجامع الصغير اقتصر فيه على ١٠٣١ حديثا وحصه بالأحاديث الوجيزة ورتبه حسب الاوائل كأصله

وقد طبع مرارا وشرحه العزيزى والمناوى

وبالنسبة لتسعة كتب هى : البخارى ومسلم وسنن الترمذى والنسائى وابى داود وابن ماجة وموطأ مالك ومسند احمد والدارمى فقد الف المستشرقون كتابهم

(المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى)

وقدوتهم فى ذلك (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) وبه يصبح من السهل على الباحث الاستدلال على مكان الحديث ومعرفة نصه ودرجته من الصحة من أى كلمة فيه ولكن الحلو لايكمل ....

انحلت مشكلة وجاءت مشكلة أخرى ...

الثمن مرهق للأفراد العاديين بل إن كثيرا من دور الكتب وقصور الثقافة فى عواصم المحافظات ليس فيها هذا المرجع الأخير ... القيم ...

ليت كبار الاغنياء يزودون به المكتبات العامة ... ووجود الأصول مقدم على الفهرس حتى يمكن الانتفاع به

وبالنسبة لأربعة عشر كتابا هى التسعة المتقدمة يضاف إليها ، سند الطيالسى وسيرة ابن هشام ومغازى الواقدى وطبقات ابن سعد والسجستانى فقد قام المستشرق أ . ى . فنسنك.

بعمل كتاب : مفتاح كنوز السنة :

للدلالة على مكان الحديث فى هذه الكتب المتقدمة للسنن القولية والعملية وترجمه الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى : إلى العربية وقدم له الاستاذان محمد رشيد رضا ، احمد محمد شاكر

ونشر فى مصر ١٣٥٣ هـ ١٩٣٢ م .....

وهو يرتب الموضوعات أو رءوس المسائل أو أشهر كلمة فى الحديث على الحروف

أما الطريقة الرابعة فهى قائمة على المسانيد يجمع فى كل مسند مارواه صحابى واحد وترتب اسماء الصحابة والرواة على الحروف ويبين فيها موضع كل حديث فى الكتاب .

وقد اتبع هذه الطريقة الامام احمد بن حنبل فى مسنده وعدد الرواة عنده ٢٠٠ رجل بدأ بالخلفاء الراشدين واولهم ابو بكر وقد طبعه الحلبى ١٣١٣ هـ ثم طبع مرة أخرى فى

دار المعارف بتحقيق وشرح الاستاذ احمد محمد شاكر ١٣٦٥ هـ ١٩٤٦ رتب فيه المحقق أسماء الصحابة على الحروف من أول الكتاب واتخذ فهرسا للمعانى والمواضيع التى تفرقت فى المسند فجمعت بينها أرقام الاحاديث فى الفهرس وبذلك أصبح من السهل معرفة الاحاديث الواردة فى موضوع واحد بتقليب الصفحات .

وممن اتبع هذه الطريقة أيضا الطبرانى المتوفى ٣٦٠ هـ فى المعجم الكبير ...

يستطيع المسئول عن الحديث ان يراجع فهرس المعانى والموضوعات فإن لم يجد بغيته لجأ إلى معرفة أول كلمة فى الحديث والتمس الدلالة عليه فى المفاتيح المذكورة او معاجم الحديث

فإن أخفق حاول فى ترتيب الموضوعات ورءوس المسائل على الحروف وأضبط ترتيب يمكن فيه معرفة الحديث من أى كلمة فيه هو المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ثم يلجأ أخيرا إلى معرفة الراوى ليبحث عنه فى المسانيد

فإن لم يكن فى هذه الانواع كلها حاول العثور عليه فى كتب الأحاديث الضعيفة أو المصنوعة أو الموضوعة .

وبعضها مرتب على الموضوعات والمعانى مثل كتاب اللآلىء المصنوعة فى الاحاديث الموضوعة للسيوطى وطبعته

الأولى ١٣١٧ هـ ويذكر أكثر من طريق للحديث الواحد

وبعضها مرتب على الحروف مثل :

تمييز الطيب من الخبيث مما يدور على ألسنة الناس من الحديث

وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله ....

ولن أترك هذا المجال دون أن أتكلم على تشجيع حفظ الحديث الشريف بين العاملين فى مجال الدعوه والطلاب والهواة وتخصيص جائزة مالية لحفظ كتاب مثل رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووى ومما حببنى فيه انه التزم بذكر الصحاح إلى والحسان وبعض ماورد فيه متفق عليه بين البخارى ومسلم وقلة الأحاديث المكررة .

ومن أسباب التكرار أن الحديث يتكون من عدة فقرات تندرج كل واحدة تحت موضوع غير سابقها ولاحقها فيضطر مرتب الكتاب وواضع الفهرس بحسب المعانى أن يذكر الحديث فى كل مناسبة تأتى فى احدى فقراته .

وهذا مافعله البخارى ومسلم . ومن أظهر الأمثلة على ذلك الحديث المشهور عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال :

(سبعة يظلهم الله يوم القيامة يوم لاظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمساجد

ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماأنفقت يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه)[1] متفق عليه

فقد ذكر تحت عنوان الحب فى الله تم الجمع بين الخوف والرجاء ويمكن أن يذكر فى العدل والعفة والتقوى والذكر وصدقة السر وتعمير المساجد

وينص الكتاب على انه سبق أو يهمل هذه الإشارة وبعض الطبعات مشكله الحروف مما يساعد على النطق الصحيح وخصوصا للضعفاء فى اللغة العربية واعدادهم تتزايد عاما بعد عام

ومرقم فى بعض الطبعات وعدد أحاديثه ١٨٩٧ حديثا .. وحديث اجتنبوا السبع الموتقات كرر خمس مرات[2]
ومن الكتب التى ارشحها : التاج الجامع للأصول : تأليف . منصور على ناصف . قضى فى تصنيفه اربعة عشر عاما نصفها فى جمع الاحاديث ومراجعتها فى كتب الأصول والنصف الثانى فى شرحها المسمى غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول :

---

(١) رياض الصالحين للنووى حديث ٣٧٨ الحب فى الله ٤٢١ الجمع بين الخوف والرجاء والترغيب والترهيب ٣ / ٢٢١

(٢) الترغيب والترهيب ٣ / ٣ ، ٢٣٠ ، ٢٦٧ جـ ٤ / ١٩ ، ٢١٨

وهو مشكل وقد ترك المكرر واقتصر فى الاسناد على اسم الراوى والمخرج .

واكتفى بأطول الروايات وأجملها والاصول المشار اليها هى : البخارى ومسلم وسنن ابى داود وجامع الترمذى والمجتنبى للنسائى : ومجموع هذه الاصول خمسة وعشرون مجلدا ومزيته كما هو ظاهر أنه يجمع الاحاديث الواردة فى كتب السنة ويمكن الاستغناء عنها بوجوده ويكتفى بحفظ جزء كل عام .

ومن الكتب المرشحة أيضا موطأ مالك أو : اللؤلؤ والمرجان : فيما اتفق عليه الشيخان للاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى : او : الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى . وفى الكتب المتعددة الأجزاء يكتفى بجزء واحد كل عام من باب التيسير المهم هو الحركه ولو كانت قليلة

كما جاء فى الحديث (أحب الاعمال إلى الله أدومها وإن قل)[1]

قليل دائم خير من كثير متقطع

وفى الأمثال : الحركة بركة ، النمل ينقل . سير الامور على الخطأ خير من وقوفها على الصواب وهذه الجائزة اسوة

---

(١) الجامع الصغير للسيوطى ص ١٠ ط ١٩٦٦ م دار العلم بالقاهرة

بمسابقة القراءة الحرة أو تخصص بعض جوائز أوائل الطلبة في كليات أصول الدين والدعوة والشريعة لهذا المشروع او منح الموظف درجة مالية بالاختيار أو الحج على نفقة الدولة أو ميزانية الأزهر أو الأوقاف او ايفاده إلى الخارج في أى بلد يرغب العمل فيه وهذا شيء سهل جدا بالنسبة للدول العربية الغنية الأعضاء في منظمة النفط التي يتهافت الناس على ذهبها الاسود دون أن يكلفها ذلك شيئا وليكن ذلك شرطا في من يعملون عندها أساتذة في أقسام الحديث والفقه بالكليات الدينية او اختياره ليكون من أعضاء مجلس علمي كجمع البحوث الاسلامية بالأزهر أو المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالأوقاف .

أو إلزام المتقدمين للدراسات العالية في مادة الحديث بحفظ كتاب صحيح معتمد أو فهرسة كتاب مثل الموطأ أو الترغيب والترهيب او رياض الصالحين أو التاج الجامع للأصول فهارس متنوعة لاتترك في صدر أحد شيئا يحتاج إليه .

فبعض كتب الأدب ذات فهارس شتى للموضوعات . الاعلام والامم والقبائل . والاماكن والبلاد والمنازل والجبال والأودية والأنهار والآبار والمياه والأشجار وآيات القرآن وأحاديث الرسول وأبيات الشعر والامثال والحروب .

وبالجملة فهى مخدومة خدمة ممتازة لم تترك فى نفس أحد شيئا

فأين كتاب الحديث الذى يظفر بمثل هذه الفهارس كتب الحديث غنية بالشروح ولكنها فقيرة فى الفهـرسة ومن المؤسف ان المستشرقين سبقونا فى هذا المجال ... ونحن أهله وأولى بالعمل والتبريز فيه وقد خدمت بعض رسائل الدكتوراة أو الاستاذية فذيلت بهذه الفهارس لآيات القرآن الكريم ورتبت الاحاديث على أوائل الحروف ليمكن الاستدلال من الفهرس على التخريج داخل الكتاب ومعرفة من أين جاءت او انشاء معهد الحديث ليكون ملحقا بكليات الدعوة وهذا كله للتمثيل لا للحصر لتخريج هذا الصنف من العلماء بعد أن فنى تماما فأصبحت لاتجد فى الألوف التى تتخرج من الأزهر كل عام حافظا واحدا ولو فى كل مركز يمكن أن يكون حجة او مرجعا للناس يلجأون إليه ويكفيهم شر التخبط والحيرة فى السؤال يمينا وشمالا فلا يجدون من يعرف وخصوصا بعد هبوط مستوى الخريجيين فى الجامعات المصرية عموما والازهرية على وجه الخصوص فقد مر عليها حين من الدهر لاتأخذ إلا من سد باب التعليم العام فى وجهه لقلة المجموع او لكبر السن وتفريطهم فى حفظ القرآن وهربهم من مجال الدعوة ، وتركيز الاهتمام على الكم لا

الكيف فرحة بكثرة الاعداد من المتخرجين كل عام ... والعدد فى الليمون

اليس ذلك خير مما كان سائدا فى سالف العصر والاوان من حفظ المتون لحيازة الفنون

أما السائل عن آية او كلمة من القرآن الكريم فأمره سهل لكثرة الحفاظ والاستدلال منهم على معرفة مكان ورودها فى الآية والسوره وإن كان هذا المدد قد انقطع بشكل وبائى لنقص الحفاظ عاما بعد عام ...

يستعان بذاكرة الحافظ فإن لم تسعف كان الملجأ هو : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : لمحمد فؤاد عد الباقى

وقد طبع عدة مرات طبعات شعبية واسعة النطاق رخيصة الثمن ميسرة للعامة والخاصة ومعجم الفاظ القرآن الكريم اصدره مجمع اللغة العربية لبيان المعنى المراد من الألفاظ .

اناب الله جميع العاملين على جهودهم ولايعرف مشقة التأليف الا من يعانيه ولا الشوق الا من يكابده

وقد فضلوا سؤال المجرب على الطبيب فى المثل : اسأل المجرب ولا تسأل الطبيب وليس هناك بأس فى سؤالهما معا فيكون المثل : اسأل المجرب قبل الطبيب

قال الابله البغدادى احد شعراء الحزيدة

لايعرف الشوق إلا من يكابده

ولا الصبابة إلا من يعانيها

وقال المتنبى :

لولا المشقة ساد الناس كلهم

الجود يفقر والاقدام قتال

ألسنة الخلق وأقلام الحق

عرضت هذه المقالة على عقلى فرفض ان تكون ألسنة الخلق معبرة عن أقلام الحق ولذلك جعلت الواو مانعة من هذا الاتحاد الموهوم بين ألْسِنة الخلق واقلام الحق ...

والأدلة العقلية معتبرة ومعتمدة فى الشريعة منها ماأفحم به ابراهيم ابو الأنبياء النمروذ ملك بابل حين زعم انه يحيى ويميت فقد أتى بإنسان خلقه الله منذ سنين طويلة فحكم عليه بالاعدام ثم الغى هذا الحكم وكان هذا هو الاحياء فى نظره والمقصود خلقه من العدم وأتى بإنسان آخر فقتله فكان لابد من حجة دامغة ليس فيها منقذ للسفسطة ولاثغرة للمكابرة والجدل

قال إبراهيم ﴿ إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر ﴾[1]

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٨

وتعليق المصير إلى السعير على نفى العقل السليم ﴿ **وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ماكنا فى اصحاب السعير**[(١)] ﴾ والآيات التى تحض على التفكير والتدبر والتعقل وجمع الادلة والبراهين واستقراء الحقائق السارية فى الكون . فى ملكوت السموٰت والأرض كثيرة ليس هنا محل احصائها واستقصائها حتى فى أخطر قضية ... التوحيد والشرك ﴿ **ومن يدع مع الله إلها آخر لابرهان له به فإنما حسابه عند ربه انه لايفلح الكافرون** ﴾[(٢)]

ومنها ماجاء فى حديث معاذ حين ذهب إلى اليمن واليا وقاضيا من قبل الرسول فسأله قبل أن يذهب كيف تقضى قال بكتاب الله — فإن لم تجد فبسنة رسول الله — فإن لم تجد اجتهد رأيى لا آلو[(٣)]

وأدلة الاحكام اربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس وللعقل عمل فيها كلها

فهو يدخل فى فهم الكتاب لأن منه المحكم والمتشابه والمصروف عن الظاهر لوجود القرائن التى تحول دون هذا الظاهر

وهناك تفسيرات شتى للنص الواحد ليس امام الايمان بواحد منها حرج فترجيح المعنى المطلوب متوقف على العقل

---

(١) سورة تبارك آية ١٠

(٢) سورة المؤمنون آية ١١٧ (٣) نيل الاوطار ١١٥,٤ أولى

ويدخل أيضا فى فهم السنة فمنها احاديث صحيحة وضعيفة ومكذوبة او موضوعة ومجملة ومفصلة وناسخة ومنسوخة ومتقدمة ومتاخرة ، ويدخل فى الاجماع لأن مسائله محتاجة إلى معرفة وهى بدورها تعتمد على العقل اما الاجتهاد والقياس فيشترط له معرفة تفسير الاحكام واسرار اللغة العربية ومسائل التاريخ وقضايا الفقه .

وفى قضية اشادة الاسلام بالعقل والاستدلال به صدرت أبحاث شتى منها على سبيل المثال لا الحصر التفكير فريضة اسلامية للعقاد رحمه الله المهم ان فى هذه الألسنة التى يزعمون أنها أقلام الحق المؤمن والكافر والتقى والفاجر والصديق والعدو والذاهل والغافل والناسى وناقل المفتريات بحسن نية . ولذلك جعل الله القضاء فيصلا بين الحقيقة والخيال والتهمة والجريمة ولم يسلم أحد من المادح والقادح حتى رب العزة طالت عليه ألسنة خلقه – تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا فجحده فريق منهم ولم يعترف بالألوهية أصلا ونسبوا الخلق والكون والوجود إلى الصدفة كما سبق(١)

---

(١) راجع صفحة ٥٨ من هذا الكتاب

واعترف به آخرون ولكنهم اسندوا إليه الشركاء ﴿ **قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده** ﴾[1] ومنهم من آمن بالحلول والاتحاد . وترتب على ذلك نسبة النقائص التى يتصف بها البشر إليه فزعم اليهود ان لله ولدا هو العزير وردد النصارى هذا القول فى عيسى بن مريم

﴿ **وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى بؤفكون** ﴾[2] واتهمه اليهود بالبخل والفقر

﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء** ﴾[3]

ولم يسلم رسول من هذه الألسنة الطويلة قاذفة التهم بغير دليل ولاحساب

﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم ومايقدرون** ﴾[4] واتهم كفار العرب محمدا ﷺ بالسحر والكهانة والجنون وقول الشعر والكذب على

---

(١) سورة يونس آية ٣٤

(٢) سورة التوبة آية ٣٠

(٣) سورة المائدة آية ٦٤ وآل عمران آية ١٨١

(٤) سورة الانعام آية ١١٢

الله حتى بعد ان انتقل إلى الرفيق الاعلى وترك دار الفناء لم يسلم من هذه الألسنة فقام المبشرون والمستشرقون وتلاميذهم من المستغربين والملاحدة بهذه المهمة وافتروا عليه كثيرا من التهم والأباطيل . ومنها تهمة الشهوانية لأنه أكثر من الزواج ونافح المحامون المخلصون عن الاسلام هذه الاقاويل والتهم فكانت كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ... ذكروا الحقائق فقط وأولها ان الرسول قنع فى عز شبابه – فى سن الخامسة والعشرين لم يدخل دنيا كما يقال بزواج امرأة فى سن الاربعين تزوجت قبله مرتين ودخلت الدنيا من بابين . وظل معها وحدها حتى ماتت فى الخامسة والستين من عمرها .

ولم يلجأ إلى تعدد الزوجات فى هذه المرة واضطر للزواج بعد موتها حين اوفى عمره على الخمسين وتعددت زوجاته لأغراض إنسانية بعيده كل البعد عن الشهوة المزعومة

وفى موضوع نساء الرسول صدرت عدة كتب حديثة منها نساء النبى للدكتورة بنت الشاطىء ، نساء محمد لسنية قراعة ، امهات المؤمنين لوداد سكاكينى وزوجات النبى الطاهرات لمحمد محمد الصداف هذا علاوة على الكتب التى تختص بسيرة واحدة مثل خديجة أم المؤمنين تأليف عبد

الحميد الزهراوى وبثينة توفيق ، الصديقة بنت الصديق للعقاد ، عائشة أم المؤمنين لزاهية قدورة .

ولم تسلم الصديقة حتى فى حياة زوجها المصطفى وهى أثيرة لديه حظية عنده بنت الصاحب الأول من السنة المنافقين فقذفوها بشر ماتقذف به امرأة فى شرفها وانزل الله براءتها من فوق سبع سموات وهى حادثة مشهورة فى جميع التفاسير لسورة النور وكتب السيرة عند عودة الرسول من غزوة بنى المصطلق فى المدينة والتهم التى تصادف رواجا وتجد ذيوعا وتلهج بها ألسنة الكفار والمنافقين فى القديم والحديث وتزلزل ضعفاء الايمان زلزالا شديدا ... كثيرة ومما تجدر الاشارة إليه فى هذا الصدد كتاب المرحوم عباس محمود العقاد حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ، مايقال عن الاسلام المهم بعد هذه اللفة الطويلة أن الاحتجاج بهذه الجملة المسئول عنها فى صدر المقال جعلنى أعنى نفسى بنسبها عن اى شخص انتقلت إلينا هل هى حديث نبوى ام جاءت إلينا من متكلم آخر ثم تلقى على الناس فى كل مناسبة على أنها قضية مسلمة مع انها محل بحث وفيها نظر وقد سبقت الاشارة إلى نفور العقل منها وكفانى الله ماأهمنى وغمنى من امر هذه النسبة حين وقع فى يدى كتاب : تمييز الطيب من

الخبيث مما يدور على السنة الناس من الحديث تأليف : عبد الرحمن الشيبانى : المشهور بابن الديبع وهو عالم يمنى ولد عام ٨٦٦ هـ ١٤٦١م وتوفى عام ٩٤٤ هـ ١٥٣٧ م وكتبه مذكورة فى دائرة المعارف الإسلامية[١] وهو مختصر للمقاصد الحسنة فى كثير من الأحاديث المشهورة على الألسنة[٢]

وقد نسبت هذه الجملة إلى كلام بعض الصوفيه برح الخفاء وظهر من البحث أنها ليست من الحديث النبوى فى قليل ولا كثير ولا صحيح و لاضعيف والبحث فى التمييز سهل لأن الاحاديث مرتبة على حروف المعجم حسب اوائلها ثم يذيلها بما يثبتها او ينفيها ويقويها او يضعفها[٣]

وكثرة الكلام فى الأحاديث بغير علم ولابينة من الذين يذكرونها فى معرض الاستدلال ومن الذين يعارضونها جعلنى احاول البراءة من الكلام فى الموضوع بغير دليل ولاحجة ﴿ **واسألوا اهل الذكر إن كنتم لاتعلمون** ﴾[٤]وقديما قيل لايفتى ومالك فى المدينة ولكن هؤلاء يريدون ان يكونوا أكثر من مالك فى المدينة او البلد او القرية او المجلس ولايبالون

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ١/ ٢٨١ الترجمة العربية ١٣٨٩ هـ
(٢) كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون ٤٩١/٢ حاجى خليفة
(٣) تمييز الطيب من الخبيث لابن الديبع جـ ٢٨ ط ١٢٥٣ هـ
(٤) سورة الانبياء / ٧

بأهل الذكر ولابجهة الاختصاص ولابمراجع العلم ومصادر الادلة التى تؤيد مايقولون وقد يكون العالم البثت حاضرا فى المجلس ولكنه يتروى فى الكلام ويطلب مهلة للبحث والمراجعة والتدبر حتى لايدلى برأى خطير فى قضية خطيرة وصمته أكثر من كلامه . قال ابو العلاء المعرى[1]

وماذا يبتغى الجلساء عندى   ارادوا منطقى واردت صمتى

وهذا هو الفرق بين العالم والجهال والحكيم والسفهاء الذين يهرفون بما لايعرفون ويصدرون أخطر الاحكام فى أهم القضايا دون ان يكون لهم رصيد من العلم والفكر والروية ... كل رصيدهم شهوة السيادة وحب الظهور وعلو الاصوات فى المجالس حتى انطبق عليهم المثل

(أسمع جعجعة ولا أرى طحنا) يفرحون بإسكات العالم وافحام المتكلم وارسال القول على عواهنه .

وقديما قيل : لو جادلنى عالم لغلبته ولو جادلنى جاهل لغلبنى .

وقال ابن المقفع[2] (لايؤمننك شر الجاهل قرابة ولا جوار ولا الف فإن اخوف مايكون الانسان لحريق النار اقرب مايكون منها . وكذلك الجاهل إن جاورك أنصبك وإن ناسبك جنى عليك) ....الخ

---

(١) اللزوميات لابى العلاء المعرى ١ / ١٨٧ ط ١٨٩١ م

(٢) الادب الصغير ص ٦٧ ط ١٣٣٢ هـ

وقال الزهاوى : (1)

(إنما الجاهل المجادل بالباطل فى أعين الترقى قذاة) لابد من معرفة كل ماقاله الناس . الانصار والخصوم القدماء والمحدثون فى الموضوع ثم يدلى الباحث المسئول بدلوه فى النهاية بين الدلاء ويطير مع الطيور والجو ملك لجميع الطيور لايدعى غراب او هدهد او عصفور احتكار الفضاء وتحريم الطيران على بقية الطيور .

وهنا تأتى قضية القول الصحيح والفهم القبيح بوضع هذه الاقوال فى غير مواضعها وفهمها بالمقلوب مما يفعل الجهال عادة وأهل الأهواء من العلماء الذين يحرفون الكلام عن مواضعه وانا أتعجب لهؤلاء الذين يستدلون بأحاديث كاذبة او ضعيفة . كيف يفعلون ذلك وامامهم القرآن والاحاديث الصحيحة

هل نفد هذا المعين حتى يلجأوا إلى الآبار الآسنة والمياه الراكدة والانهار الملوثة

إن من يفعل ذلك كمن يستضىء فى رابعة النهار وضوء السمس ساطع بنور شمعه عرضة للانطفاء بنفخة ريح او هبة نسيم فلا يقبل ذلك منه أحد .

---

(1) ديوان الزهاوى ص ٢٥

والغريب ان الاحاديث الضعيفة ربما كان فى معناها المعروض على الناس كثير من الصحاح او الحسان أو حتى آيات من القرآن الكريم وينطبق عليها فى حرب الجدل ماينطبق على الجيوش من قوله تعالى :

﴿ قال الذين يظنون انهم ملاقو الله كم فى فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾(١)

---

(١) سورة البقرة آية ٢٤٩

القول الصحيح والفهم القبيح

هناك أقوال صحيحة تحولها الافهام السقيمة والعقول المريضة إلى معانى بعيدة كل البعد عن المراد ، فتمسك بعض آيات القرآن الكريم أو أحاديث الرسول او مأثورات الحكم وامثال الامم وتعض عليها بالنواجذ لأنها توافق أهواءها ومهما روجعت فى هذا التأويل البعيد والغرض السىء فلن يزيدها ذلك الا اصرارا واستكبارا وتنسى الباقى من النصوص المعروضة فى مجلس الجدل والمناقشة كأنه لا وجود له بالمرة كما جاء فى القرآن الكريم وصفا لبنى اسرائيل ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء منك يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وماالله بغافل عما تعلمون ﴾

(١) سورة البقرة آية ٨٥

وكما قال على بن ابى طالب ردا على الخوارج كلمة حق أريد بها باطل

وكما قال المتنبى :

وكم عائب قولا صحيحا   وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الآذان منه   على قدر القرائح والفهوم

فتستخدم هذه الجمل فى غير مواضعها

ومثل ذلك فى الحواس الخمس

الاعمى لايرى مايراه البصير . والاعور يرى بعين واحدة اما عين الاحول فقد اختلف محوراها فترى الشيء الواحد اثنين والأجهر يتحير بصره فى ضوء الشمس الساطع والاعشى يضعف بصره ليلا والأعمش يضعف بصره ليلا ونهارا مع نزول الدموع

والفم المريض يجد الماء العذب عند الناس مرا أجاجا والقليل من هذه العقول هو الذى يرجع إلى الحق عند ظهور انواره ولايتمادى فى الباطل وهذه أمثلة من الاقوال الصحيحة التى تحولت فى الافهام القبيحة إلى عكس المراد وكلمات الحق التى اريد بها باطل والتمست من التأويل البعيد عونا على رفض المعانى الظاهرة .

وزعمت ان المعانى الباطنة هى المراد

ولكثير من الملل والنحل والمذاهب والمدارس . مثل المعتزلة والجبرية والخوارج والشيعة والصوفية والمستشرقين والمستغربين باع طويل فى هذا الموضوع

احتج بعض الصحابة بالآية

(١) ﴿ **يأيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾[١] فى هدم قاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ورد عليهم ابو بكر بما رواه عن رسول الله من قوله :

﴿ **إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه اوشك الله ان يعمهم بعقاب منه** ﴾[٢] فيتركون الاخطاء تتعاظم والمظالم تتفاقم بسبب هذا الفهم القبيح الذى ينقل المسلم من القوة إلى الضعف ومن السيادة إلى التبعية ومن الايجاب إلى السلبية ، ومن ذلك قول العامة وأنا مالى . اقام العباد فيما أراد .

وهناك أحاديث أخرى تبين الترابط فى المجتمع والتماسك فى الأمة بمحاصرة الفساد وإطفاء الشرر قبل أن تستفحل النار وتنتشر العدوى بالتقليد وحيئذ يقع الهلاك على الجميع ... اكتفى منها بهذا الحديث المشهور

---

(١) سورة المائدة آية ١٠٥

(٢) الترغيب والترهيب ٣/ ١٨١ ، ٤/ ٦٨ ورياض الصالحين حديث ١٩٩

(مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم اعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم ومااردوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا)(١)

(٢) يعتمد كثير من المسلمين على احاديث التبشير ، بدخول الجنة لكل من نطق بالشهادتين وإن سرق وإن زنى ، ويتركون أحاديث الحدود والعقاب على ارتكاب الموبقات فى الدنيا والآخرة وهى كثيرة متواترة وتعضد الأحاديث آيات متفرقات فى كتاب الله وقد فهم ابو بكر رضوان الله عليه ان الاقرار بالشهادتين يقتضى ويستلزم العمل ببقية الاركان ومن أجل هذا قاتل المرتدين الذين أقروا بالشهادتين ومنعوا الزكاة ولم يمنع قولهم لا اله الا الله من قتالهم وقتلهم فى الدنيا ودخولهم النار فى الآخرة وكان عمر على الرأى الأول ثم شرح الله صدره للرأى الثانى فوافق أبا بكر على القتال والقتل وأصبح الأمر إجماعا . (٢)

---

(١) الترغيب والترهيب ٣ / ١٧٨ ، ٣ / ١٩٥

(٢) الترغيب والترهيب ٢ / ٢٨٦

وقال بعض العلماء إن المراد بأمثال هذه الاحاديث ان تكون آخر كلام المسلم المحتضر فى الدنيا ولاينال هذا التوفيق الا من سار على الصراط المستقيم ولم يكن من اهل التلبيخ اعتمادا على آيات المغفرة وأحاديث الرحمة والأمل فى العفو

(٣) وفى عهد عمر بن الخطاب عندما كان ذاهبا إلى الشام وصادفه طاعون عمواس فرجع بمن معه توقيا من عدوى المرض فاعترض ابو عبيدة بن الجراح بقوله :
افرارا من قدر الله – قال عمر : الذى جعل الله الحق على لسانه وقلبه : نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله . لو غيرك قالها ياأبا عبيدة . ففهمه يؤدى إلى عدم الاحتياط والتوقى والأخذ بالأسباب وينتهى بإلقاء النفس فى التهلكة وهو ماورد النهى عنه فى آية أخرى ... ثم يكون التعلل بالقضاء والقدر .

(٤) وفى عهد على بن ابى طالب حين كان يحارب معاوية فى صفين وقبل مبدأ الاصلاح بين المتخاصمين فأوقف القتال وأحدث الهدنة حتى لايكون محبا لسفك الدماء راغبا عن الصلح حين دعى إليه .

قال الخوارج لاحكم الا لله ... لماذا توقفت عن القتال ورضيت بالتحكيم كنت على صواب وأخطأت فرد عليهم بالآية :

﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى امر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾[1] فموقفه سليم ريثما يتم الصلح والتحكيم وإن لم يتم استأنف القتال .

(٥) كان معاوية يدعى ان المال مال الله وهى كلمة حق اريد بها باطل فهو يقصد ان تكون له الحرية الكاملة فى التصرف يضع الأموال كيف يشاء دون ان يحاسبه على تصرفاته أحد وقد عارضه أبو ذر فى هذا الفهم الخاطىء ورفض هذه الدعوى ليبقى حق الرعية فى حساب ملوكها ورؤسائها على انفاق الميزانية العامة للدولة ... محفوظا وهذه من القضايا التى تعرض للانسان فى كل عصر ومصر ولاتوصف بإنها قديمة وجديدة .

(٦) لم يكن فى عهد رسول الله نقود من الورق فالمعنى صحيح ولكن المقصود فى اذهانهم باطل لأنه يؤدى إلى اضاعة الزكاة تماما لحبس الذهب والفضة فى خزائن المصارف ومنع النقدين عن التعامل بين الناس فى الأسواق .

وهذا بلاء عم العالم كله . وليس فى الدول الاسلامية فقط .

---

(١) سورة الحجرات آية ٩

وقد افتى الشيخ عليه مفتى المالكية فى عصره بأنه ليس فى النقود الورقية زكاة ، والتسليم بهذه الجملة معناه الجمود وتشويه صورة الدين فى الاذهان وعدم استعمال العقل فى المشكلات

وقد بدأ .الورق دخول الساحة سندات على المصارف واجبة الاستبدال بالذهب عند الطلب

ومعنى هذا ان لكل جنيه من الورق قرين من الذهب ونعم القرين . ثم تلاعبت الدول والمصارف فى الرصيد الذهبى فأصبح قليلا جدا بجانب الورق ونتيجة لذلك منع الاستبدال بعد الحرب العالمية الأولى واصبح الورق هو العملة السائدة المفروضة على الناس .

وقد تعلل مانعو الزكاة فى عهد ابى بكر بفهم خاطىء فى الآية : ﴿ **خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها مصل عليهم إن صلاتك سكن لهم** ﴾[1]

وزعموا أن هذا خاص بالرسول فى حياته ولا تنطبق على خليقته بعد وفاته وبذلك الفهم القبيح للنص الصحيح سقطت الزكاة وقد حاربهم ابو بكر حتى تركوا التأويل الباطل واذعنوا للفهم الصحيح .

(١) سورة التوبة آية ١٠٣

(٧) ومن ذلك قول القائل – إن للبيت ربا يحميه – جملة قالها عبد المطلب جد الرسول حين وجد نفسه عاجزا عن مواجهة جيش أبرهة الكثيف الجرار وهى فى معنى قول بنى اسرائيل لموسى ﴿ **اذهب انت وربك فقاتلا . إنا هاهنا قاعدون** ﴾[١] والمقصود هو القعود وترك آيات القتال وأحاديث الجهاد وهى كثيرة إذا انتهكت حرمات الدين او منع انتشاره او اعتدى على المسلمين فى أوطانهم واعراضهم وأموالهم .

(٨) آيات واحاديث يسر الدين ورفع الحرج يقصدون بها اباحة الحارم كلبس الذهب للرجال والتختم به فى الشبكة وتعليقه على الصدور والنحور وتشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال وهو ماوردت أحاديث أخرى بالنهى عنه مثل : (لعن رسول الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال)[٢] .

(٩) (من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق)[٣]

---

(١) سورة المائدة آية ٢٤
(٢) الترغيب والترهيب ٣ / ٨٢
(٣) سورة الاعراف آية ٣٢

يريدون اباحة الترف والاسراف وهو محرم فى كثير من الآيات الأخرى ولاحد عندهم لكثرة المآكل والمشارب والمفارش والاوانى والملاهى والنوادى وادوات الزينة والمراكب والمناظر والملاعب والاغانى والخرائد والفرائد .

(١٠) ربنا رب قلوب لامظاهر . جملة ورد فى معناها حديث (إن الله لاينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم واعمالكم)(١)

ومثله : (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى)(٢)

وهم يقصدون بهذه الجملة السالفة العيب على من يؤدى العبادات كاملة غير منقوصة مستوفية الشروط والاركان والاشكال والهيآت والكمالات كما ورد فى كتب احاديث الاحكام وفقه السنة ويتركون المرأة تتعرى كما شاءت او كما شاء لها الرجال مادام قلبها عامرا بالايمان ، وينسون ان

---

(١) الترغيب والترهيب ١ / ٢٢ ورياض الصالحين حديث ٨

(٢) الترغيب والترهيب ٢١/١ ورياض الصالحين حديث ٢

الايمان ماوقر فى القلب وصدقه العمل وتتطاول السنتهم بالهمز واللمز على المستورة لابسة الحجاب فتدعى انها من الفاسقات فى السر .

(١١) آيات التوكل واحاديثه كثيرة ولكنهم يحملونها على الكسل وترك العمل فيعيشون عالة على غيرهم (وقد اسست الزوايا يقيم فيها المريدون ويأكلون من الاوقاف التى تجرى عليهم : القمح وعسل النحل وعسل القصب والبطيخ :[١]

وبعض الزوايا فى نعمة عظيمة من كثرة الاوقاف وبعضها فى بؤس شديد حتى إن سكانها لايجدون الا الخبز الجاف والملح والدقة ولذلك ينتقل بعض مريديها إلى الزوايا الأخرى فهى ذات جذب شديد بفضل مافيها من اللحم والزبد والفواكه والخانقهات على مثل هذا النظام تقريبا) .

وقد انشأ محمد بن قلادون سنة ٧٢٥ هـ الخانقاه دارا للصوفية يعبدون الله فيها بصحراء سرياقوس ثم أصبحت بلدا تزايد عمرانه حتى وصلت إلى حاضرة مركز تابع لمحافظة القليوبية .

(ومثلها التكايا والملاجىء التى يأوى إليها القادرون على العمل وهى مأخوذة من نظام الأديار المعروف فى المسيحية

---

(١) التصوف الاسلامى وزكى مبارك ٢ /١٧٧

فالتصوف الاسلامى فى حقيقته ظل من ظلال المسيحية ... هرب من الدنيا ومن الجاه ومن المال ومن النساء)[1] .

فلا عمل ولاعمارة للأرض ولازواج ولانسل حتى وجد فيهم من يرفض الأسباب جملة وتفصيلا ومنها التطبب علاجا للأمراض التى تصيب الانسان وهذا مناف لحديث (اعقلها وتوكل)[2] .

وهذا الفهم القبيح لآيات واحاديث التوكل مناقض لآيات واحاديث الحث على العمل والامر بإتقانه وإحسانه والاجتهاد فيه وتحمل المشقة بسببه وإن كان محتقرا فى نظر اصحاب الفهم القليل أو الكليل فى المجتمع ولذلك يسمى الفهم السابق تواكلا .

(١٢) كان الصحابة يؤبرون النخل فأشار عليهم الرسول بترك التأبير فلم يثمر النخل فى العام فذكروا ذلك له فقال (أنتم اعلم بشئون دنياكم)[3] .

صوت الخبرة والتجربة هو المسموع كما جاء فى المثل اسأل المجرب ولا تسأل الطبيب .

---

(١) التصوف الاسلامى د زكى مبارك ٢ / ٢٠٦

(٢) الجامع الصغير للسيوطى جـ ٤٣

(٣) صحيح مسلم ٧ / ٩٥

ولكن بعض الناس يستخدم هذا الحديث سجانا لحبس الاسلام فى المساجد والمعابد ويقولون يفصل الدين عن الدولة وتقرير العلمانية فيعدو القوى على الضعيف والظالم على المظلوم والذئب على الغنم كما يشاء فى الدنيا لأن الدين محبوس فى المساجد والمعابد والجوامع والزوايا لايتجاوزها إلى الاسواق والمصارف والمدارس والمعاهد والجامعات والمحاكم

ومجالس الادارات والشركات والشورى .

(١٣) ورد فى إكرام الضيف احاديث صحيحة مشهورة يقصد من يذكرونها شيئا غير الكرم المظاهر والمناظر والاكل بشراهة وتقديم الطعام الذى يكفى عشرات المساكين لواحد من الوجهاء والاعيان زيادة على الشاى والفاكهة والحلوى والمياه الغازية والدخان وهناك تجاوزات أخرى إلى الخمر والمخدرات وقد أصبحت تسمى المشروبات الروحية .

ثم يطرد الفقير المحتاج شر طردة إن طمع فى شىء من الفضلات او الفتات او جلس على المائدة وتستخدم الولائم فى اطعام الافواه لتستحى العيون وتقضى المطالب والمصالح فى هذا الجو المشحون بما لذ وطاب الحافل بالسرور والمجون والمتع والنكت ...

(١٤) يتمسك فريق من الناس بآيات الجبر ويتركون آيات الاختبار فيؤدى هذا التمسك إلى ابطال معنى التكليف والحرية وهدم قاعدة الحساب والثواب والعقاب فى الدنيا والآخرة وبذلك يستوى عندهم الطائع والعاصى والمقبل والمدبر والمجتهد والكسول والكريم والبخيل وعابد الرحمن وعابد الشيطان .

(١٥) يحمل بعض الناس آيات القتال فى القرآن واحاديث الجهاد والرباط فى السنة على ان الاسلام قد انتشر بالسيف وانه لايعرف الا الغلظة والشدة . وينسون ولايذكرون آيات عدم الاكراه فى الدين وآيات الرحمة واحاديث الرفق ... حتى بالحيوان .

(١٦) تتمسك بعض الافهام بآيات العفو وأحاديث التسامح والصفح والصفو وإن ادى ذلك إلى هدم آيات القصاص واحاديث العقاب على الجرائم فيعيث المجرمون فى الارض فسادا دون عقاب ولارادع وتصبح الحياة فوضى لاشريعة ولانظام .

ومن التوفيق الحسن ان المستتر الذى لم يخلع برقع الحياء يعامل بآيات العفو اما المجاهر بالفسق الذى خلع برقع الحياء فيعامل بآيات العقاب واحاديث القصاص حتى لاتشيع

الفاحشة فى الذين آمنوا حبا فى التقليد الأعمى .

وهذا نص الحديث الوارد فى موضوع التوفيق

(اتى رسول الله برجل قد شرب فقال :

ايها الناس قد آن لكم ان تنتهوا عن حدود الله فمن اصاب من هذه القاذورة شيئا فليستتر لستر الله فإنه من يبد لنا صفحته . نقم عليه كتاب الله)[1] .

وفى حقوق العباد – للمجنى عليه ان يعفو قبل أن يصل الحد إلى السلطان مجانا لوجه الله الكريم او فى مقابل الدية . وله ان يتمسك بالقصاص إذا كان لايشفى غليله ولاتبرد ناره إلا بقتل الجانى على يد السلطان لئلا يصبح الأمر فوضى .

(فمن عفى له من أخيه شىء فابتاع بالمعروف واداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم وحمة)[2] .

(١٧) كثيرا ماستخدم الناس الآية :

﴿ ياأيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾[3]

استخداما سيئا وقصدوا بها الطاعة المطلقة للحكام الطاعة

---

(١) الترغيب والترهيب ٣ / ٢١٥

(٢) سورة البقرة آية ١٧٨

(٣) سورة النساء آية ٥٩

العمياء وهناك نصوص أخرى تدل على أن الطاعة ليست مطلقة وليست عمياء ... فلا يكون فيها عصيان لله .

﴿ وإن جاهداك على ان تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما الدنيا معروفا ﴾(١)

والحديث (لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق)(٢) .

فيحمل المطلق على القيد كما يقول علماء الأصول وسبب نزول الآية ان أميرا لسرية وجد عليهم فى شىء فأمرهم ان يجمعوا حطبا اوقد فيه النار ... ثم امرهم ان يدخلوا النار بأرجلهم فعصوه بناء على مشورة شاب منهم أحب ان يراجع القائد الأعلى - رسول الله - فى المدينة فلما عرض الأمر عليه قال (لو دخلتموها ماخرجتم منها ابدا انما الطاعة فى المعروف)(٣) .

(١٨) يقبل التوسل والوسيلة قوم محتجين بالآية

﴿ قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل . فلما كشفنا عنهم الرجز إلى اجل هم بالغوه إذا هم ينكثون ﴾(٤) .

---

(١) سورة لقمان آية ١٥

(٢) الجامع الصغير للسيوطى ص ٣٣٨ ط ١٩٦٦

(٣) تفسير ابن كثير - سورة النساء / ٥٩

(٤) سورة الاعراف آية ١٣٤ ، ١٣٥

والشاهد ظاهر لأن موسى دعا ربه بما عهد عنده وتشفع لهم فى رفع العذاب فرفع مرارا وكشف الرجز عنهم ومع ذلك كانوا ينكثون فلما بلغوا الأجل حقت عليهم الكلمة وغرقوا فى اليم وبالآية ﴿ **من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها** ﴾[1].

الشفاعة الحسنة فى نيل حق لمسلم « عدوان فيه على غيره او دفع ضرر عنه بشرط ان تكون خالصة لوجه الله الكريم لاينال عنها رشوة ويرفض التوسل والشفاعة آخرون محتجين بالآيات .

﴿ **قال يانوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح** ﴾[2].

﴿ **وماكان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه إن ابراهيم لأداه حليم** ﴾[3].

وحديث شفاعة اسامة فى المرأة المخزومية السارقة فقد رفض رسول الله هذه الشفاعة فى الحدود والتفرقة بين الناس

---

(١) سورة النساء أية ٨٥

(٢) سورة هود آية ٤٦

(٣) سورة التوبة آية ١١٤

فى الأحكام وعدم المساواه أمام القانون الالهى ، فتقام الحدود على الضعفاء ويعفى منها الشرفاء والقول الفصل بين الفريقين المختصمين هذه الآيات[١]

﴿ ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾[٢] .

فالشفاعة لمن كان هناك رجاء فى اصلاحه وأمل فى هدايته وتوبته ...

يعطى عدة فرص لعل وعسى

(١٩) ﴿ ليس على الاعمى حرج وليس على الاعرج حرج وليس على المريض حرج ﴾[٣] .

يفهم بعض الناس تعميم الحكم فى الحرج ولو كان فى شيء بعيد عن الآفة او العاهة او المرض فهل يباح لأصحاب هذه العاهات السب واللعن والقذف بألسنتهم والبطش بأيديهم ونفوذهم والمكر بعقولهم .

الحكم الواضح ان المقصود برفع الحرج ماكان داخلا فى

---

(١) الترغيب والترهيب ٣ / ١٩٥

(٢) سورة المدثر : ٤٢ - ٤٨

(٣) سورة الفتح آية ١٧

نطاق العاهة او الآفة كافطار المريض فى رمضان او الصلاة جالسا لمن لايستطيع القيام او منكئا لمن لايستطيع الجلوس فإذا جنى جناية بعضو سليم وعقل سليم فإنه يؤاخذ بها ويعاقب عليها كالأعرج حين يسرق بيده أو الأعمى حين يزنى او المريض حين يقتل بالسلاح او بالسم او بالتحريض .

وقد جاء فى المثل : كل ذى عاهة جبار .

فهل نترك لهم الحبل على الغارب أم أن الضرورة تقدر بقدرها .

والعمى والعرج والمرض اسباب لعدم اللياقة الطبية عند توقيع الكشف على الجنود والضباط وهى اعذار القعود والتخلف عن الحرب من عهد الرسول إلى وقتنا هذا .

(٢٠) ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾[١] .

تذكر هذه فى معرض ترك الجهاد مع انها واردة فى بعض الانصار[٢] حين ارادوا ان يتفرغوا لتنمير الاموال واكتساب الارزاق بعد ماضيهم الحافل وبلائهم الحسن فى الجهاد مع رسول الله ووجود بدلهم الذى يؤدى دورهم ممن كثر دخوله فى الاسلام فكانت التهلكة هى ترك الجهاد مع رسول الله وقد ورد هذا المعنى فى آية أخرى

---

(١) سورة البقرة آية ١٩٥

(٢) الترغيب والترهيب ٢ / ٢٣٣

﴿ ماكان لأهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولايرغبوا بأنفسهم عن نفسه ﴾[1] .

وهناك معنى آخر ان التهلكة هى البخل[2] وامساك القادرين عن الانفاق فى سبيل الله على المجاهدين فيقوى العدو عليهم ويستأصل شأفتهم ثم يغنم ويتحكم فى أموال الاغنياء كما يشاء فالبخل والامساك سبب فى الهلاك وهناك معنى آخر او تفسير ثالث وهو اليأس من رحمة الله بعد ماض حافل بالذنوب والموبقات فيظل على بلاويه إلى ان يموت على العصيان او الكفر[3] .

ومن الابحاث الواردة فى الآية . اقتحام الشجاع المغوار المقدام الفدائى فى حرب العدو فلو كان فى المخاطرة والاقتحام فائدة للمسلمين وتكاية فى العدو جاز وإن ادى إلى هلاكه .

ويستخدم بعض الناس الآية السابقة فى ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذا أدى إلى مالاتحمد عقباه فى الدنيا رحم الله المفسرين ورواة الحديث والفقهاء فقد ادت

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٠

(٢) تفسير القرطبى ٢ / ٧٢٦

(٣) الترغيب والترهيب ٢ / ٣٣٥

اعمالهم ونقولهم واجتهاداتهم إلى الحد من تخبط العقول وتلبيس ابليس وشطحات أهل الاهواء والملل والنحل .

(٢١) يحمل كثير من الناس آيات الرحمة على إطلاتها مع انها مقييدة فى آيات أخرى بالمشيئة الالهية وبالتوبة وبمن يستحقها .

﴿ قل ياعبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لاتقطنوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ﴾[١]

﴿ ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾[٢] .

فيحمل المطلق على المقيد كما يقول علماء الأصول وهناك من يريد هدم آيات احسان العمل واتقانه والاجتهاد بآيات الرحمة ولاتعارض لأنها تعطى لمن يستحقها ولاتمنح للمتواكل المتوانى الكسول الذى لايؤدى الواجبات ولايفعل الطاعات .

(٢٢) **﴿ الا إن اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾[٣]** .

---

(١) سورة الزمر آية ٥٣

(٢) سورة الاعراف آية ١٥٦

(٣) سورة يونس آية ٦٢

تذكر دائما فى معرض المقال والجدال فى عبادة الله وحده ومظاهر هذه العبادة ومخها من الدعاء والسجود والركوع واداء النذور وتقديم الفرابين وكتابة عرائض الاحوال والاستعانة وطلب المدد وشد الرحال والجملة الأخيرة كناية عن السفر وهو لايكون الا لثلاثة مساجد فقط .

المسجد الحرام والمسجد الاقصى والمسجد النبوى والطواف وهو لايكون الا حول الكعبة وتقبيل الأعتاب والتمسح بالجدران والأخشاب(١) .... فسرعان مانجد المتكلم او المجادل يأتى بالآية فى غير موضعها كأن قرينه ادعى خوف الاولياء وحزنهم ونفى بشراهم عند ربهم ...

وهذا المعنى مسلم عند الفريقيين لم يرد أصلا على ذهن المتكلم الأول .

(٢٣) توضع احاديث الزهد فى غير مواضعها فتوجه إلى الفقراء الذين يعيشون على الكفاف . ومن ايديهم إلى افواههم . إن مرض عندهم مريض لايجدون ثمن العلاج واجرة الكشف وإن مات عندهم ميت لايجدون حق الكفن وإن دخل عندهم تلميذ المدرسة او طالب المعهد او الجامعة لايستطيعون الانفاق عليه ... [لولا إن التعليم بالمجان من الابتدائى إلى الجامعة]

---

(١) الجامع الصغير للسيوطى ص ٣٣٦

وماأكثر الفقراء والبؤساء فى العالم حين تعدهم أكثر من الهم على القلب وحبوب الأرز والقمح التوجيه الصحيح لهذه الأحاديث هو القذف بها فى وجوه الاغنياء الذين ابطرهم الترف واسكرهم النعيم وأطغاهم الملل فالتمسوا قتل الوقت بمعاقرة الشهوات والتفنن فى الملذات قد انقطع احساسهم بالانسانية المعذبة والبؤس الفاشى فى العالم .

كأنهم يعيشون فى الابراج العاجية والمستويات العالية والقصور المشيدة وناطحات السحب .

(٢٤) (من ام بالناس فليخفف فإن منهم الضعيف والسقيم وذا الحاجة)[١] .

حديث صحيح ولكنهم يريدون بذكره الاسراع فى الصلاة ونقر الغراب ونفى الطمأنينة مع أن الصلاة على هذه الصورة من العجلة منهى عنها وهى من القبح بحيث تكون سببا فى فساد الصلاة وقد ورد هذا فى حديث المسيء لصلاته[٢] .

فقد أمره الرسول بإعادة الصلاة وبالطمأنينة فى كل ركن من الاركان .

---

(١) فقه السنة ٢ / ١٠١

(٢) الترغيب والترهيب ١ / ٢١٩

وهو باب فى الكتاب به بضع وعشرون حديثا وهناك أحاديث فى وصف صلاة الرسول ظهر منها ان بعض الصلوات الخمس أطول من الأخرى وان الركعة الأولى اطول من بقية الركعات[1] لدرجة ان يذهب الذاهب إلى البقيع لقضاء حاجته ثم يتوضأ ثم يدرك الرسول فى الركعة الأولى ... وذكرت بعض السور التى ثبتت قراءته لها فى الصلاة .

وبناء عليه يمكن تحديد متوسط الزمن الذى تستغرقه القراءة والتسبيح والدعاء بحيث ينجو الامام من أهل الريث الذين يشدونه من الذراع الأيمن واهل العجلة الذين يجذبونه من الذراع الأيسر وفكرة الوسط حل لكثير من المشكلات والمنازعات وهى من الاوصاف المحمودة لأمة التوحيد فى القرآن الكريم ... ﴿ **وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** ﴾[2] .

(٢٥) يتصايح العمال والموظفون بالحرص على مصلحة العمل امام رؤسائهم وهو شعار او ستار يخفى خلفه الاهواء ، ويتخذه الرؤساء ذريعة للمحاباة ومجاملات المحاسيب والغلظة والشدة على الأعزة الذين ليس لهم ظهر يستندون إليه

(١) فقه السنة ٢ / ١٠٣

(٢) سورة البقرة آية ١٤٣

وباب خفى يدخلون منه ، حسب هؤلاء المحاسيب والمحظوظين الدخول فى الزوارق ومسح الجوخ وتقبيل الأيدى والضحك على الذقون وترديد شعار مصلحة العمل التماسا للفوز بالمنافع والمغائم والمكاسب والخيرات والمبرات وإن لم يكونوا أحق بها وأهلها ودفعا للأضرار وإن كانوا أحق بها وأهلها .

(٢٦) يستخدم كثير من الناس كلمة - أنا حر - تبريرا للكذب والغش والاحتكار واستغلال حاجة المضطر والربا والنصب ...

والحرية بهذا المعنى عدوان على حرية الآخرين وتضررهم من الرذائل والخبائث التى وقعت فوق رءوسهم ، وتعبر المرأة بهذه الجملة عند ممارستها للمجون والخلاعة والتهتك والفساد والتهالك على الرجال وقد اباحت القوانين الغربية كثيرا من الموبقات التى تتم بالتراضى بين الطرفين وإن خالفوا بذلك الشرائع والاديان ...

وهذا عيب القوانين النابعة من الارض فإنها تابعة للأهواء ومن الامثلة على ذلك : الخمر والربا والزنا والمخدرات لاختلاف المناظير التى ينظر بها إلى هذه الموبقات مابين بيضاء إلى سوداء فى مختلف البيآت والمستويات وبحرية

الالحاد والكفر يهدم الاله والدين وبحرية الفساد تهدم الأخلاق والاسرة .

(٢٧) تذكر الامثال فى ذم العمال بإخلاص وإتقان وفراغ بال فيقال : حمار شغل :

مع انه لايستقيم امر بلد ولاوطن ولابيئة ولادين ولادنيا الا بالاخلاص والاتقان فى الاعمال وهذه الصفات عبادات لله تعالى وردت فيها الاحاديث الكثيرة الصحيحة والآيات القرآنية وهكذا تنقلب الموازين فى المجتمع الفاسد رأسا على عقب فيذم العامل المجد المجتهد المخلص المتفانى فى اداء عمله ويمدح المنافق الذى يخادع المجتمع بصورة العمل دون أصله – ويعيش عالة على غيره ... عاطلا فارغا وإن كان فى شكل عامل مشغول .

(٢٨) الدين المعاملة :

يقصدون بهذا المعنى الصحيح معنى آخر قبيحا ... حسن الصلة بين الناس هو المهم أما العبادات فغير مهمة عندهم ويدور هذا التفكير فى عقول الماديين فيقولون إن العبادات تمرين او تعويد على الفضائل فالفاضل فى حد ذاتهٔ غير محتاج إلى العبادات ثم يزيدون الحمأة طينا فيتهكمون بالعبادات والعباد يقولون للمصلى : خذنا على جناحك . يصلى الفرض وينقب الارض . بركة ياجامع جاءت منك لامنى ويزعمون

ان الحجاج لصوص خونة مصابون بخراب الذمة ويطلقون نكتبة فيهم تفيد ان هذه الظاهرة مقترنة بهم .

وضع رجل امانة عند احد الحجاج فى بلده واستشهد عليها اخويه وكان ثانيهما قد حج اما الثالث فهو لم يتشرف بعد بالحج فلما طلب الرجل امانته جحدها المؤتمن الحاج . فقال الرجل لى عليك شاهدان من اهلك احضر أخويك ... فشهد الأخ الصغير الذى لم يتشرف بعد بالحج على أخيه وان الامانة عنده وشهد الأخ الحاج بالنفى مساعدا لأخيه فى النسب وزميله فى الحج فحلف الحاج الكبير المؤتمن بالطلاق انه سيقدم لأخيه الذى شهد بالحق فى الحج عند حلول الموسم ليكون الثلاثة على نسق واحد فى خراب الذمة وخيانة الامانة وأكل اموال الناس بالباطل وشهادة الزور ، اما المزكى فيطعنونه من وراء ظهره ومن امامه أيضا فيقولون انه مرائى بكذب على الله ويسترضى الناس بالقليل من الكثير الذى ينهبه ولو رجع كل شىء إلى أصله من المال المنهوب المغصوب لما بقى له شىء يزكيه .

(٢٩) الاسلام دين الحضارة

جملة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب أو سم موضوع فى الدسم فربط الدين بحضارة القرن العشرين خطأ لأن فيها

الخير والشر والصواب والخطأ والصلاح والفساد والهدى والضلال .

فيها المصانع الضخمة التى تنتج سلع الرفاهية والنعيم والاسلحة الفتاكة التى تحول النعيم إلى جحيم فى غمضة عين وانتباهتها .

وقد ذاقت لبنان النعيم ثم الجحيم فى بضع سنين ، والجيوش الجرارة التى عاثت فى الارض فسادا فاستعمرت الامم الضعيفة وهى فى عقر دارها لأنها تملك المواد الخام أو المركز الهام ... وفيها العلم المادى الذى بلغ مستوى القمة وفيها المبانى والقصور المنيدة وناطحات السحب والمدن العائمة والطائرات النفاثة والقطارات السريعة والسيارات المجنحة فيها إتقان العمل والشورى ...

فيها إكراه الناس على مذاهبها وعقائدها ولغاتها ونظم حياتها . وفيها بجانب ذلك الزندقة والالحاد والفسق والفجور والسكر والعربدة .

وكون الدين تابعا للحضارة يؤدى إلى تعدد وجوه الاسلام بتعدد المذاهب الفكرية والالوان فهو تحت لواء الديمقراطية أبيض وتحت لواء الشيوعية أحمر وتحت لواء الاشتراكية أصفر

والقوانين غير مستقرة – تتبع الاغلبية فى بلاد الديمقراطية وتخضع لهوى الحاكم ثم يكره عليها الشعب فى بلاد الشيوعية والاشتراكية .

(٣٠) تزييف الشعارات بحيث تستخدم فى الاضداد فتسمى الهزيمة نصرا عزيزا وفتحا مبينا ويستقبل المهزوم فى الميدان بالقرآن فى الحفلات الموظف فى خدمة السياسة بمثل قوله تعالى :

﴿ **انا فتحنا لك فتحا مبينا** ﴾[١] وماتلاها من الآيات .

﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره ... انه كانت توابا** ﴾[٢] .

ولو كانت الآيات فى هذا المقام [ولكل مقام مقال]

﴿ **إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس** ﴾[٣] .

الآيات الأخيرة ونحوها مما نزل فى أحد وحنين احق بالقراءة فى هذه المناسبة ولكن القارىء يحول آيات الله إلى

---

(١) سورة الفتح ١ – ٣

(٢) سورة النصر

(٣) سورة آل عمران آية ١٤٠

مدائح وتهانى وأغانى فى المناسبات الوطنية ثم يأخذ الجائزة على هذا التلاعب بالمعانى إلى درجة التناقض .

﴿ فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون ﴾[1].

ويستقبل المرشحون فى الانتخابات بمثل قوله تعالى :
﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾[2].

ويمدح اللصوص والخونة والمرتشون ومستغلو النفوذ بمثل قوله تعالى عن اهل الكهف
﴿ انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ﴾[3]

(٣١) ساعة لقلبك وساعة لربك

جملة مشهورة ورد فى معناها الحديث[4]
(إن لربك عليك حقا وإن لاهلك عليك حقا وإن لبدنك عليك حقا فأعط كل ذى حق حقه)

---

(١) سورة آل عمران آية ١٨٧
(٢) سورة الفتح آية ١٨
(٣) سورة الكهف آية ١٣
(٤) رياض الصالحين للنووى حديث ١٤٩

ولكنهم يقصدون تبرير الشهوات المجرمة بهذه الجملة السالفة الذكر كمجالس السكر والمخدر والمفتر .

(٣٢) **قطع** صدر الجملة عن عجزها للإتيان بمعنى مخالف تماما للمقصود كما فى الآية

﴿ **لاتقربوا الصلاة – وانتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون** ﴾[١]

مع ان الآية قد نزلت بداية فى سلسلة الآيات لتحريم الخمر وآخرها الآية التى حرمتها فى جميع الاوقات والاحوال لافى وقت الصلاة فقط ﴿ **يأأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** ﴾[٢] .

﴿ **فويل للمصلين** ﴾[٣].. تقطع عن الباقى لتفيد ذم المصلين وتوعدهم بالعذاب

﴿ **الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾[٤]

فإذا كملت الجملة أصبح المعنى مغايرا تماما للأول .

(انصر اخاك ظالما أو مظلوما)[٥] يقطع عن باقى

---

(١) سورة النساء آية ٤٣

(٢) سورة المائدة آية ٩٠

(٣) (٤) سورة الماعون ٤ ، ٥

(٥) رياض الصالحين للنووى حديث ٢٣٩

الحديث وهو مفيد فى نصر الظالم بمنعه عن الظلم .

(٣٣) يردد بعض الناس جملة أكل عيش تسويفا للعمل فى المحرمات مثل عصر الخمور والرقص المثير ورعى الخنازير مع أن الاحاديث واردة فى تحريم العمل فى هذه الاشياء من البداية إلى النهاية .

وعلة أكل العيش غير واردة لأن الاعمال التى تفيد المجتمع وتنفع الأمة وتصلح البشرية أولى بالمجهود واحق بالعرق والتعب وهى كثيرة لا قليلة .

وهى قطب الرحى فى العمران وعماد الخيمة فى الحياة .

حديث عن القرية

طلبت الاخت الكبرى من أخيها الوحيد الصغير أن يزورها فى القرية التى ولد فيها أبواه وقدر لها أن تعيش بين ربوعها وتتزوج ثم تنجب فيها والحت الحاحا شديدا . زهاء عامين .

حتى زهدت فى الالحاح ويئست من تحقيق الامنية والحب من طرف واحد .... بلاء لايطاق

ومهما طال الصبر [فله اول وآخر وله حدود] وكثر الرجاء والعتاب ولفت النظر والشكوى من الجفاء والاعراض .

واستجداء الصداقة والاخوة والحب . فإن مصيره إلى كمال الانقطاع بعد كمال الاتصال ...

وأخيرا جاء أوان الزيارة فذهبت معه أمه واخته الصغرى للاشراف على طعامه وشرابه وراحته ومنامه واستعد ابناء

عمومته – ومنهم النسيب الحسيب زوج أخته لذبح الذبائح وتضحية القراين والالتفاف حوله عند تشريفهم بالزيارة السامية وتقديم أحلى مايعرفون من الفاظ الترحيب وعبارات التحية والمجاملة والشوق إلى القريب – الغريب – الذى لا يعرفهم ولكنهم يريدون أن يعرفوه وأن يحظوا برضاه الغالى وجلس اهله امامى يذكرون ماصنعوا من أجله إنه لم يكن وحيدا حتى يستوحش بين قوم لم يعاشرهم . وطبخوا له أصنافا من الأطعمة التى ظل على محبتها من طفولته إلى شبابه .

وكانت الطاهية أمه التى تعود على الاكل من يديها واختصوه بألين وأنظف فراش داخل أوجه غرفة ثم عاد بعد كل هذا ساخطا ثائرا ينعت قريته بأقبح النعوت واحط الصفات . ويسوى بين أهلها وبين البهائم

لم يعجبه العجب ولا الصيام فى رجب

قال إننى لم اسغ للطعام مذاقا ولم ترتو كبدى الحرى بما قدموا من ألوان الشراب ، ولم اعرف للراحة معنى ... وانما ظلت أعصابى متوترة تضطرب بالكراهية .

وقد حاولت ان أناقشه فى احكامه الجائرة وعباراته النابية بعد أن تعجبت من سخطه الشديد الذى لامبرر له فعرفت مصدره ... انه يشكو من التراب الذى صادفه فى شوارع

القرية ودروبها وعطفاتها وأزقتها ... وانها متعرجة كطريق الثعبان لاتعرف نظاما ولا استقامة ولا سعة ولاتمهيدا او تعبيدا او تبليطا .

وان الماشية تشاركهم الحياة فى الدار وتنفذ إلى حظائرها من باب البيت الذى ينفذون منه وإن ضاقت الحظيرة بسكانها خففوا عنها الزحام بوضع الزيادة فى وسط الدار ، وينقل الماء فى بلاليص وجرار على رءوس النساء وأكتاف الرجال ... وليس فيها كهرباء وهذا حالها بعد ان وصلت إليها اشعة من أنوار الحضارة فى القرن العشرين تتمثل فى مرور السكك الحديدية بها ووقوف القطارات عند المحطة غير بعيد عنها ولولا ذلك لمكانت الرحلة إليها والاقامة فيها يوما او بعض يوم مشقة تضطر القادم إليها من المدينة امتطاء ظهر حمار او حصان او جمل ورصف بعض الطرق التى تربط العواصم والحواضر والمدن ببعضها وبما تمر عليه من القرى وانتظام خطوط السيارات الحافلات والناقلات بالأجرة او بالنفر والشاحنات . وإن كان حظ القرية المشكو من حالها قد تأخر فى رصف طريقها حتى شرف الأخ بالزيارة ولكنه مشقوق بين المزراع يعلوه تراب يسكنه عمال الرش بالماء ...

فقلت أنك نشأت فى مدينة عمالية أنشأتها المصانع على

حافة الصحراء وهاجر إليها ابوك وحولها القرى من كل جانب .

فهل تكن لهذه القرى نفس الشعور الذى ظهر منك وحياتهم متشابهة كما تعرف .

قال لا ... قلت لعل هذا من ألفة الصبا وحنين الطفولة ... فلم التفرقة انك لم تتعلم فى مدرسة أجنبية ولم تتأدب بأدب انجليزى او فرنسى او المانى او روسى ولم ترحل إلى بلادهم .

فكيف يكون حال امثالك الذين تعلموا فى المدارس الاجنبية منذ نعومة أظفارهم ورحلوا إلى بلادهم وتأدبوا بآدابهم وتخلقوا بأخلاقهم وتزوجوا من بناتهم فكانت النتيجة بعد هذه المقدمات كلها أن حياة هؤلاء اصبحت هى المثل الأعلى .

وكل انحراف عنه أو بعد منه قيد شعرة
يقابل بسخط شديد وثورة عارمة

— وللرد عليك وعلى امثالك اقول —

إن القرى قد ورثت هذا الحال منذ آلاف السنين وإنما تعز بك وبأمثالك لو كانوا على استعداد لخدمتها ... ومن اين يأتى الترقى .... هل تنزل الملائكة من السماء لتصنعه

لنا على الارض او نستقدم الاجانب ليعملوا بعقولهم واموالهم وايديهم لنا ...

وهل هناك اجنبى يفعل ذلك للوطنى او غربى يؤدى هذا للشراقى او نصرانى يقوم بهذا الدور للمسلم او رأسمالى يفعل ذلك للاشتراكى او الشيوعى او العكس ... أو حتى لمثيله فى المذهب او حضرى يفعل ذلك للبدوى .... لوجه الله دون غاية أخرى من فرض نفوذ وبسط سيادة ووضع اقدام او تثبيتها وحماية مصالح ونشر دين وبث مذهب والزام بتعليم لغة وفتح اسواق لتصريف بضائع المصانع او امدادها بالوقود والمواد الخام والأيدى العاملة ... وهناك المثل المعروف .

إن من يوقد شمعة واحدة خير ممن يلعن الظلام طول عمره .... فيه الكفاية فيسعى فى إنشاء طريق يصل القرية بالعالم القريب والبعيد – حولها – او تبليطه بعد إنشائه وشق ترعة وإقامة قنطرة ومرور خط سيارات عامة فى الطريق واتخاذها محطة وفتح مكتب بريد وهاتف وانشاء مركز اجتماعى او وحدة ريفية ومرشح للماء وبناء معهد دينى ومدرسة اعدادية وجمعية تعاونية .

واقناع اهل الخير من الاعيان بتكوين لجان الخدمة العامة لتسوية النزاع ثم الاصلاح بين المتخاصمين وإطفاء نار العداوة التى تشتعل بعد الانتخابات وأخذ الثأر ...

ومساعدة المظلوم حتى يأخذ حقه من ظالمه وجمع الزكاة وتوزيعها على فقراء البلد ومساعدة المنكوبين وأصحاب المصائب الغارمين .

ومن أكلت الدودة زرعه او ماتت بقرته او انهدمت داره او سرق ماله او حرقت زراعته أو ادى مدة العقوبة فى سجن بالانفاق على اولاده وزوجته فى غيبته إن كان فقيرا ليس له مورد الا عمل يده ومساعدته بعد الخروج على سلوك الطريق المستقيم ...

ونمو مجالس القرية حتى تقوم بعمل التنظيم فى شوارع المدن وردم البرك والمستنقعات وتسوية الطرق وتنظيفها بالكنس والرش وازالة مايستحق الازالة وتهيئة الارض والمبانى اللازمة للمنافع العامة فى القرية .

وشراء آلات زراعية تؤجرها لمن ليس لديه ماشية و بناء بيوت صحية نموذجية مناسبة لمحدودى الدخل حتى يمكن تقليدها والنسج على منوالها وتحسين الأنتاج الزراعى والحيوانى كما وكيف مع الاحتراس من عوامل الفساد ودواعى الهدم وجراثيم الفناء التى تعمل فى الظلام او من تحت لتحت كالسوس الذى ينخر فى الخشب فيصطاد فى الماء العكر ويفسد عمل المصلحين ويحول المنافع والفوائد والمصالح الى الجيوب الخاصة .

وينقل ببطء وصبر وتأن ومكر الاموال العامه إلى الاملاك الخاصة بوسائل اللص الشريف إن استطاعوا

او اللص الدنيء إذا لم يكن من ذلك بد وتحلب البقرة من تحتها بينما يبذل المجتهدون المخلصون المتفانون جهدهم فى مسك قرون البقرة اما الكراهية والسباب واللعن وقذف التهم بغير حساب فهو عقوق لايقدم ولايؤخر ...

والعوض على الله ...

بالحب اولا والعمل ثانيا والتعاون ثالثا والصبر رابعا تتحسن الاحوال وتنتقى أسباب الشكوى من الحياة فى القرية لأهلها المساكين .

اما مثلك ايها السيد الهمام والمواطن المحترم فلن يعود إليها ولو جعلوه أكبر رأس فيها ونصبوه عمدة عليها ....

إنه يفضل ان يعيش مع الاذناب فى المدن ولايرجع إلى أى قرية رأسا أو رئيسا او عمدة ...

مثل كثير من الشباب يفضل ان يعيش كناسا او زبالا او ماسح أحذية او بلاط أو غاسل اطباق فى بلاد النور والحرية .

على ان يكون من اصحاب الشأن فى بلاد الشرق

ولله فى خلقه شئون

قلت وقالوا

رضع المتحدثون لبان الفاقة فى المهد فلما شبوا أسعفهم الحظ وامتازوا بعلم يسير لم يظفر به القرناء والاتراب .

وهم لهذا يحبون ان ينسبوا إلى طبقة المثقفين . والخوض فى قضايا العلم لايدو الا بين رفاق الطلب وزملاء المدرسة وعند المدرسين ولكنهم مغمورون فى هؤلاء ويريدون ان يشعروا أنفسهم الصغيرة انهم ارتقوا حقا وصدقا ويحبون الانفراد بالمكان الأعلى كالشمس فى كبد السماء لاشبيه لها والعلم لن يجديهم فتيلا فى القرية فلن يعلم فيها أحد مدى التحصيل والإتقان لما تلقوه لسبب ظاهر وهو تفشى الأمية .

ثم إن الفخر بالمعنويات والروحيات بعيد الادراك فلا يقدروه حق قدره الا من اوتو من الخير أكثر ولو كان هذا

بين جمهرة المتعلمين ... فللعلم آفاق متعـددة مـن سار فـى افـق يستقل بنفسه وبمن سار معه فى هذه الجهة فلا يرى أصحاب الآفاق الأخرى الا أن ينقلب التفوق إلى ناقة أخرى كناقة صالح تسع الناس بلبنها كما تم فى الاكتشافات العلمية الحديثة التى هونت المشقات وسهلت الاعمال على الناس .

على ان هذا يأتى فى الطور الأخير من اكتمال العقل ونضج الذكاء .

ولما كان اصحابنا لاينتسبون إلى طبقة النابغين فهم يتعجلون الفخر فلا ينتظرون هذا المدى الطويل ... وهم يرون الانتظار مغامرة لأنهم لم يأخذوا مع التوفيق عهدا على السير فى ركابهم اينما ساروا ولايريدون ان يشقوا على أنفسهم بالمجهود العصبى وتثنيهم حداثة النشأة وصفر العقل عن رؤية كل هذا فتراهم يلزمون اهلهم – وهم فقراء – بتقليد الزملاء من الاغنياء فى الملابس والمناظر والمظاهر بشراء الملابس الفاخرة .

البذلة والقميص ورباط العنق والحذاء والجورب والمنديل والقفاز وللشتاء زى وللصيف زى وللبيت زى وللخروج زى وللمدرسة زى وللجامعة زى وللسهرة زى وللنوم زى .... ولايمكن ان تتداخل الأزياء واختيار الأقمشة الغالية والالوان

الزاهية والفخر بالتفصيل عند الخياط المشهور بمتابعة الطراز الحديث والبدع الشائع . وليأخذ من الثمن مايطلب . ثم تأتى مقتضيات الاناقة الأخرى كلما لبسوا او خلعوا ...

وقلم الأبنوس وحقيبة الكتب والمكتب وحافظة النقود والساعة وشرب الدخان والقداحة والمروحة ودهان الشعر والنظارة وركوب سيارات الأجرة بدلا من الحافلات ... وإن رضوا بها فلا أقل من الدرجة الأولى ، والفسح والنزه وشرب المياه الغازية واستعمال الروائح العطرية وإقامة أعياد الميلاد ومجاملات الزملاء والزميلات فى العطايا والهبات .

والاحتفال بالنجاح والدروس الخصوصية والكتب الخارجية والرحلات .

فإن اعجزت الفاقة الأهل عن شراء كل هذه المطالب وقالوا (فنظرة إلى ميسرة) ارتكبوا أمرا إذا وثاروا عليهم واتهموهم بكل مايعاب .

وإن جنحوا إلى الرخيص لم يوافقوهم على ذلك تقديرا لما يعانون من شظف العيش . وإن حاولوا المفاضلة بين اللازم وغيره او العمدة والفضلة والمعجل والمؤجل لقوا منهم نكرا .

تعقدت نفوسهم وظنوا ان العلم لايكون ولايطلب إلا بمثل هذه المناظر والمظاهر واتعبوا أنفسهم واهلهم بل انهم

يستكبرون حتى على خدمة أنفسهم كأنهم فى حاجة إلى خدم يختصون بهم لقضاء مصالحهم لافرق بين المهم وغيره والصغير والكبير وإن تكلموا فتقعر وتشدق وتعالم وتفيهق لأن هذا من علامات البيئة الممتازة التى دخلوا فى غمارها .

وهم بإيجاز ينظرون إلى أنفسهم فقط دون ادنى اعتبار لطاقة الاهل ومصلحة الاسرة وبقية الاخوة وخصوصا إذا تعدد الطلاب من الابناء وكانوا جميعا على هذه الشاكلة . والويل والثبور وعظائم الأمور لمن فرط فى شيء من ذلك او غير او بدل ... ظن أنه هاو فى الدرك الاسفل من الهمجية والرجعية والانحطاط ضمنى مجلس مع هؤلاء فقلت انكم تتجنون على العلم وهو بريء من هذا كله .... وعلى الأهل كل ماتفعلونه تقديس لقاذورات الغرب التى يرمينا بها ونعتبرها رمز المدينة وعلامة التحضر .

ولابد فى نظر الكثيرين منا من التقليد الشديد لهذه الأعراف الجائرة دون تمييز بين النافع والضار وبين مايعين على الغرض والغاية ومايعوق عنها وماهو داخل فى الموضوع وماهو خارج عنه حتى ينتهى الأمر إلى العبودية او إلى السفه قالوا او أنت خارج على قواعد السلوك واعراف الحضارة ومراسيم المدنية .

قلت لو كانوا عقلاء مااستعبدتهم هذه المناظر التافهة وماأخذوا بهذه القشور الجوفاء .

وإنما يقام للعرف وزن إذا اسس على العقل والحكمة أما إذا ابتعد عنهما فأنا اول الداعين للخروج عليه .

قالوا إنك شاذ تتصور الأمور على غير ماعهدنا من العادات والتقاليد والاعراف والمراسيم فقلت لايعيبنى الشذود مادمت أدعو إلى حق وإلى خير ...

الفهرس

رقم الإيداع ٥٥٥٧ / ٨٦
رقم الايداع الدولى ٣ ــ ٣٥ ــ ١٤٧٠ ــ ٩٧٧